عبد القادر ياسين

تجربة فى المقاومة النشطة

الطبعة الأولى يناير ١٩٩٨

عنوان الكتاب: تجربة فى المقاومة النشطة

تـأليـف : عبدالقادر ياسين

الناشر : مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر

٤ش ٩ب المعادى – ت: ٣٧٥٢٠٣٣

المدير العام : فـريـد زهــران

الجمع التصويرى : صباح عامر

مسئول الطباعة : محمد سعيد

رقم الإيداع : ٩٨/٢٥٥٧

الترقيم الدولى I.S.B.N: 7 -84 -5652 -977

تجربة فى المقاومة النشطة

الفهـــرس

مـــقدمة

هل ثمة ما يدعو إلى كتاب آخر عن "الجبهة الوطنية المتحدة في قطاع غزة(*)، بعد مرور زهاء ثلاثين سنة على قيامها، وقرابة ربع قرن على غيابها ؟

قبل ستة عشر عاما، أصدرت كتابا عن هذه الجبهة؛ وكان في إمكاني الاكتفاء، اليوم، بإصدار طبعة ثانية من الكتاب نفسه، دون ماحاجة إلى كتاب جديد عن التجربة نفسها، لولا أن مرور كل هذه السنوات على هذه التجربة الفريدة، يحتم الافراج عن مزيد من الأسرار حول ملابسات تشكيل هذه الجبهة؛ وأساليب عملها، وآلياته؛ فضلا عن الدروس المستفادة من هذه التجربة. خاصة وان الاحتلال لايزال يجثم على صدور أبناء شعبنا في الضفة والقطاع، الاختلاف الوحيد هنا أن جنود الاحتلال ذهبوا، وحل محلهم وكلاء يقومون بدور "ملقاط" لجمر المقاومة، ويشكلون شريطا حدوديا مرادفا لنظيره في الجنوب اللبناني، الذي يقوده – في الظاهر – أنطوان لحد. مما يحتم علينا استحضار التجارب الثورية، المحلية، والاقليمية، والعالمية، للاستقواء بها في مواجهة الكارثة القومية، المسماة "اتفاق اوسلو"، وتداعياته.

(*) تجربة الجبهة الوطنية في قطاع غزة، بيروت، دار ابن خلدون، نيسان / ابريل ١٩٨٠.

غنى عن القول بأننى أنجزت الكتابين، وفى ذهنى الافراج عن أقصى ما يمكن من الأسرار، وجنى أوسع دائرة ممكنة من الدروس المستفادة، لايحد من هذين الطموحين سوى المسؤولية الوطنية والحزبية، رغم أننى غادرت الحزب، منذ ثمانية وعشرين سنة. ولهذا قصة اخرى؛ ربما يأتى ذكرها فى كتابى اللاحق عن"."الحزب الشيوعي الفلسطينى فى قطاع غزة".

لعل ما سهل لى مهمتي فى هذا الكتاب، كونى من داخل الظاهرة عضوا فى قيادة أحد أطراف الجبهة، بقاء ذاكرتى حية قوية، إلى حد بعيد؛ وتوفر وثائق الجبهة بين يدى، فقد حمل معظمها، من غزة، الزميل طعمه مشتهى، أثناء هجره قطاع غزة، سرا، بعد أن طاردته قوات الاحتلال، بمجرد أن اكتشفت توليه مسئولية الجهاز العسكرى للجبهة، فى يناير / كانون الثانى ١٩٦٨. الأمر الذى يستحق عليه كل الشكر. فنحن امة لا تعير كثير اهتمام لتراثها، أما أحزابنا فنادرا ما تلتفت إلى أهمية وثائقها ويومياتها، واذا ما التفت فبعد فوات الأوان. مما يجعل الخلف يكرر أخطاء السلف، لأن هذا لم يترك تجربته بين يدى الخلف. واذا تركها، فان الأخير لا يهتم بقراءتها، أو الاستفادة منها، لذا يبدأ من حيث بدأ سلفه، فيكرر أخطاءه، ولايتجنبها؛ بينما العدو يطور أساليبه، ويسبقنا فى هذا المضمار. ومع هذا كله نعتبر هزائمنا مجرد سوء حظ !

حتى اوفر بانوراما أقرب إلى الاكتمال عن هذه التجربة، بدأت بالقاء الضوء على قصة تشكيل الجبهة؛ وألحقتها بفصل عن بنية التنظيم، وآلية عمله، وأساليبه؛ قبل أن اقدم التجربة الصحفية السرية للجبهة، من خلال صحيفة "المقاومة"، والكراسات التى أصدرتها الجبهة لتثقيف أعضائها.

متمنيا أن يكون هذا الكتاب قد أوفى هذه التجربة حقها؛ فأكد على إيجابياتها، فيما لم يهمل سلبياتها؛ فالدروس المستفادة من الأخيرة ربما تفوق كثيرا تلك التى يمكن ان تستفاد من الايجابيات.

والله الموفق

عبد القادر ياسين

القاهرة فى ١٩٩٦/١/١

الفصل الأول

ظهور الجبهة

الفصل الأول
ظهور الجبهة

وقعت هزيمة ١٩٦٧ العربية كالصاعقة على رؤوس جميع العرب؛ وإن تضاعفت الكارثة على من وقع منهم تحت الاحتلال الاسرائيلي، بفعل هذه الهزيمة.

جاء الاحتلال وواقع التنظيمات السياسية في قطاع غزة بائس؛ حيث لم يكن في القطاع، حتى ذلك الوقت، حزب سياسي له امتداد جماهيري ملموس. فحركة القوميين العرب بدأت نشاطها السياسي والتنظيمي، بعيد جلاء المحتلين الاسرائيليين عن قطاع غزة؛ منهية احتلالا دام زهاء أربعة أشهر متصلة (١٩٥٦/١١/٢ – ١٩٥٧/٣/٧).

ووصل عدد أعضاء فرع هذه الحركة في القطاع، عشية الاحتلال الاسرائيلي الثاني (١٩٦٧)، إلى قرابة ١٤٠٠ عضو. وما أن احتل القطاع من جديد (١٩٦٧) حتى فقد هذا الفرع توازنه، وأصابه الشلل التام؛ ولم يعاود التحرك الا بعد زهاء خمسة أشهر من بدء الاحتلال؛ بعد ان تدنت عضويته إلى ٢٦٧ عضوا فقط.

كان القوميون العرب قد منوا أنفسهم بدخول تل أبيب، بمجرد اعلان الرئيس المصري الراحل، جمال عبد الناصر، حالة الطوارئ، وطلبه إلى البوليس الدولي مغادرة قطاع غزة وسيناء، ووصول التوتر بين مصر واسرائيل، صيف ١٩٦٧، إلى ذروته.

ولما انقلبت الآية، وقع القوميون العرب أسرى إحباط خانق، بل إن اليأس تمكن من أغلبهم، فغادر صفوف الحركة، على النحو المبين أعلاه. ثم ان هذا الفرع ظل، منذ نشأ، يستمرئ العمل تحت مظلة الدولة، مواليا ومؤيدا، وقد فاجأه الاحتلال الإسرائيلي بتحد لم يكن مهيئا أو مؤهلا له، مؤداه أن يتحول هذا الفرع من التأييد إلى المقاومة؛ ومن العلنية إلى السرية. وما كان لهذا كله ان يتم بدون خسائر، أو بين عشية وضحاها، بل تطلب زهاء خمسة وثلاثين اسبوعا متصلة، توجت بحجم عضوية أقل من خمس ما كانت عليه، عند بدء حرب يونيو /حزيران ١٩٦٧، فضلا عن افتقاد الخبرة في مجالي المقاومة والسرية.

أما فرع حزب البعث العربي الاشتراكي، فكان يعاني من أزمة خانقة، هبطت بعضويته، من ١٠٥ أعضاء، في العام ١٩٥٩، إلى زهاء عشرة أعضاء، فقط، عند وقوع الاحتلال الإسرائيلي الثاني.

ذلك ان هذا الفرع تأسس في القطاع، صيف ١٩٥٥، عبر أجهزة النظام الناصري؛ حين كان عبد الناصر والبعث يعيشان شهر عسل. ومع التوتر الذي ساد هذه العلاقة، منذ أواخر ١٩٥٩،

واضطرار وزراء البعث الخمسة (*) إلى الإستقالة من حكم الجمهورية العربية المتحدة حتى غادر الفرع أغلب اعضائه، ممن وفدوا تحت تصور النضال فى كنف الأجهزة المصرية؛ فيما عمد من تبقى إلى فصل معظم قادة الفرع وكوادره، بتهمة الاتصال بالأمن !

أما فرع جبهة التحرير الفلسطينية (ج. ت. ف)، فلم ير النور، إلا قبل وقوع حرب يونيو / حزيران ١٩٦٧، بزهاء العامين؛ وظل هذا الفرع ضعيف الحضور، والفعالية السياسية التنظيمية، إتكاليا، مكتفيا بتلقى التعليمات والنشرات من قيادته مركزية فى بيروت.

فيما لم يكن الحزب الشيوعي الفلسطينى فى قطاع غزة نم سوى بضع عشرات من الأعضاء، ولم يمتلك أية منظمة ماهيرية، تتيح له التنفس، حسب ما تقضى به الاصول التنظيمية؛ جاء هذا الحرمان بسبب الأحكام العرفية المفروضة على القطاع، ذ حرب ١٩٤٨ العربية – الإسرائيلية، والتى كانت من جهة – ظر إقامة مثل هذه التنظيمات الجماهيرية، حتى أن الادارة صرية ألغت، منذ صيف ١٩٥٧، بعد أسابيع قليلة من عودتها إلي

(*) الخمسة هم :- نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة (مصر +. سوريا)، أكرم حورانى. صلاح البيطار، خليل الكلاس؛ مصطفى حمدون؛ عبد الغنى قنوت؛ ورياض المالكى.

القطاع على أكتاف جماهيره، النوادى الرياضية فى القطاع (القومى؛ الشعبى؛ الرياضى؛ والتوحيد)، ولم تبق من بين كل النوادى سوى "جمعية الشبان المسيحية"، لحكمة لاندريها ! ومن جهة اخرى، فان الحزب الشيوعي ظل عرضة للضربات البوليسية المتوالية، من جانب الأجهزة الأمنية للادارة المصرية، فى شكل حملات اعتقال شملت، فى كل مرة، جل جسم الحزب. واتخذت هذه الحملات طابع الاستمرار المتقطع (شتاء ١٩٤٨؛ صيف١٩٤٩؛ صيف ١٩٥٢؛ ربيع ١٩٥٥، ربيع وصيف ١٩٥٩، ناهيك عن حملات الاعتقالات الثلاث المتعاقبة، التى شنتها ضد الحزب سلطات الاحتلال الإسرائيلى، ما بين خريف ١٩٥٦، وشتاء ١٩٥٧. وزاد من ضعف الحزب، ذلك الخلاف الذى احتدم فى أوساط الشيوعيين فى القطاع، منذ صيف ١٩٦٤، حول ضرورة اعادة تشغيل الحزب، الذى توقف عن العمل، منذ حملة اعتقالات صيف ١٩٥٩. وجاء انفجار هذا الخلاف، أولا بعد خروج آخر فوج من المعتقلين الشيوعيين الفلسطينيين فى سجن المحاريق بالواحات الخارجة، جنوبى غربى مصر، فى مارس / آذار ١٩٦٣؛ وثانيا بعد تدفق الدماء فى جسم الحركة الوطنية الفلسطينية، غداة انعقاد المؤتمر الوطنى الفلسطينى الأول، فى القدس، فى ما بين أواخر مايو / أيار، ومطلع يونيو / حزيران ١٩٦٤، والذى تمخض عن ولادة "منظمة التحرير الفلسطينية"، وما رافق انعقاد ذلك المؤتمر، وولادة هذه المنظمة من حوارات وصراعات، أمدت الحركة السياسية الفلسطينية

بدفعات قوية من الحيوية، ما كان للشيوعيين أن ينأوا بأنفسهم عنها. وسرعان ما حسم الصراع في أوساط الشيوعيين الفلسطينيين في القطاع، حين نجح الفريق الداعي إلى تشغيل الحزب في تشغيله، فعلا، اعتبارا من ٤ إبريل / نيسان ١٩٦٥. وإن ظلت غيوم الخلاف تخيم على الشيوعيين في القطاع؛ حيث ظل عدد لايمكن انكار حضوره، يعارض إعادة تشغيل الحزب. بيد أن هذه المعارضة تلاشت، تماما، مع دخول المحتلين الاسرائيليين إلى القطاع، وتوفير الاجماع الشعبى على رفض هذا الاحتلال، وتطور هذا الرفض إلى المقاومة، على النحو المعروف.

ثم سرعان ماعاد إلى الحزب عشرات الأعضاء الذين كانوا قد هجروه، إبان المواجهة المستهجنة مع النظام الناصرى، الحليف الطبيعى للشيوعيين. فتحت نير الاحتلال، العدو واضح ومحدد، ومقاومته واجبة وممكنة، والعودة إلى رفاق الدرب وتوحيد الصفوف غدت ضرورية، بل ملحة.

عليه يمكن القول بأن الحزب الشيوعي امتلك، عشية الاحتلال وتحته، تنظيما احسن إحكامه، إلى حد بعيد، وضم كوادر قيادية ووسطى ذات خبرة كفاحية، وتنظيمية ملحوظة، خاصة في مجال النضال السرى. مما أهل الشيوعيين لأن يحملوا إلى "الجبهة الوطنية المتحدة" تراثا تنظيميا غنيا، يقضى باقامة منظمات جماهيرية.

بيد أن هذا الأمر اصطدم بعقبة كأداء، مؤداها أن اقامة مثل هذه المنظمات الواسعة لايتفق وضرورة سرية حركة مقاومة، وفي وجه احتلال، ذى أساليب قمعية شرسة.

إخفاق المحاولة الأولى

إزاء هذه اللوحة الحزبية، كان طبيعيا ان ينفرد الحزب الشيوعي بميزية التحرك السريع فى مواجهة المحتل الاسرائيلى، دون سواه من التنظيمات القائمة فى القطاع، التى وقفت مشدوهة، مشلولة؛ بعضها لا يقوى على الحركة، بسبب عضويته المحدودة، وخبرته الكفاحية المتواضعة، خاصة فى مجال العمل السرى، فيما صعق البعض الآخر لأن الهزيمة جاءته على غير انتظار، ومن خارج دائرة توقعاته. بينما أفلت الحزب الشيوعي بحلقة ضيقة من الأعضاء والكوادر المجربة، الصلبة، سرعان ما تعززت صفوفهم بمزيد من الأعضاء والكوادر الذين عادوا إلى الحزب، مع الاحتلال الذى استجد. كما ان الحزب ألف العمل السرى، منذ سنة ١٩٤٨، فضلاً عن أن الانتقال من موقع المعارضة إلى خنادق المقاومة لايتطلب قطع مسافة ذات شأن. أى أنه كان مهيأ للمواجهة مع المحتلين الإسرائيليين، الأمر الذى عززه توقع قيادة الحزب وقوع

الهزيمة العربية، بسبب وعى هذه القيادة بمدى عمق الخلل الاستراتيجى، فى المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والعسكرية، والثقافية فى الجانب العربى. لذا نجد هذه القيادة تضع خططا للسطو "الثورى" على مطابع بعض المؤسسات فى حال وقوع الحرب، ودخول القوات الاسرائيلية قطاع غزة؛ كما جهزت قيادة الحزب شعارات، لكتابتها على جدران مدن، وقرى، ومخيمات القطاع، بمجرد وقوع القطاع تحت الاحتلال الإسرائيلى، مثل : "لاصلح؛ لا استسلام؛ لا وغدا يساوم".! وبذا فان الهزيمة العربية لم تصفع الحزب أو قيادته، بل وصلته وهو فى كامل جاهزيته الكفاحية.

اذا ماعدنا إلى الخريطة الحزبية فى القطاع، سنجد أيضا، الاخوان المسلمين، الذين رأوا فى الهزيمة العربية ثأرا لدم سيد قطب(*)؛ لذا نبذتهم القوى الوطنية فى القطاع، وأسقطتهم من حسابها فى اى تحالف وطنى. كما سنجد بأن ثمة كتلتين أستجدتا فى القطاع؛ أولهما حلقات متناثرة من فتح، والثانية عشرات الضباط والجنود من جيش التحرير الفلسطينى، الذين بقوا فى القطاع، بعد

(*) كان نظام عبد الناصر قد اكتشف، سنة ١٩٦٥، تنظيما سريا للأخوان المسلمين، يقوده سيد قطب، يعمل لاسقاط هذا النظام بالقوة، وانتهى الأمر بتوجيه ضربة قاصمة لهذا التنظيم، واعدام سيد قطب وبعض اعوانه من قادة التنظيم.

الهزيمة، ولم يقعوا فى الأسر، أو ينسحبوا إلى غرب قناة السويس، او يستشهدوا.

سرعان ماتجمع الضباط والجنود، وتشكلوا على نحو يقترب كثيرا من التشكيل الحزبي(**) ساعدهم على بلوغ هذا الشكل اعتمادهم التراتبية العسكرية فى هذا الصدد. ولم يكن هذا الشكل هدفا فى حد ذاته، بالطبع، بل أداة لمقاومة المحتل. ولم تجد هذه الكتلة إلا الحزب الشيوعي فى الساحة، الذى وفر لأغلب أعضائها بطاقات شخصية مزورة، كما مول الحزب الكتلة، ماليا، بسبب انقطاع صلتها بقيادتها العسكرية؛ وبرئاسة منظمة التحرير الفلسطينية. على أنه ما أن نجحت قيادة هذه الكتلة على مد جسور الاتصال بقيادتها العسكرية والسياسية، حتى توفر للكتلة المال، فكف الحزب الشيوعى عن دفع مبلغ الأربعين جنيها مصريا، بصفة شهرية، لهم، ابتداء من شهر نوفمبر /تشرين الثانى ١٩٦٧. وهو مبلغ كبير، بمعايير ذلك الزمان؛ وفوق طاقة حزب صغير فقير مثل الحزب الشيوعي، الذى تنحصر وسائط تمويله فى اشتراكات أعضائه، وتبرعات مؤازريه.

أما فتح، فعمد معظم أعضائها إلى مغادرة القطاع إلى الضفة الغربية أو الشرقية، طلبا للنجاة، بعد أن علموا بأن الكشوف

(**)من المعروف أن التراتبية الحزبية مأخوذة عن التراتبية المعمول بها فى الجيوش.

المتضمنة أسماء أعضاء التنظيمات الفلسطينية تركت في ملفات المباحث العامة والمخابرات العسكرية، في مراكزها بمدينة غزة. ومن صمد من أعضاء فتح، اكتفى بالتنسيق مع الحزب الشيوعي، دونا عن بقية التنظيمات القائمة في القطاع، بسبب ثقتهم الكبيرة في الحزب وصدقيته، وتسليما بخبراته الثرية وإمكاناته التنظيمية والفنية، التي لايستطيعون الاستغناء عنها.

في منتصف يوليو / تموز ١٩٦٧، اتخذت قيادة الحزب الشيوعي قرارها بضرورة الالحاح على قيادة فرع القوميين العرب لعقد تحالف بين التنظيمين، يضم اليه كتلة ضباط جيش التحرير وجنوده، الذين بقوا في القطاع. وتحرك مندوبا الجيش والشيوعي، وانتقلا إلى جباليا، بهدف الاتصال بالمسؤول الأول لفرع القوميين العرب، آنذاك، صباح ثابت؛ وعرضا عليه الاقتراح؛ وبعد لف ودوران، وافق ثابت على هذا الاقتراح. أما اللف والدوران، فلأن ثابت يعلم بان فرع الحركة في القطاع يعاني من تبعثر وشلل تام؛ ولايستطيع الدخول في أي تحالف في الوقت الراهن.

اتفق الثلاثة على تسمية ثلاث شخصيات مستقلة وازنة إلى قيادة التحالف. وبادر ثابت، فسمى الثلاثة المطلوبين، دون أن يترك لأي من المندوبين فرصة تسمية أي من المستقلين، وهم : حيدر عبد الشافي (القريب من الشيوعي)؛ منير الريس؛ وفاروق الحسيني (القريبان من القوميين العرب). وتغاضى مندوبا الشيوعي والجيش

عن هذه المؤامرة الصغيرة. وتم الاتفاق على عقد اول اجتماع لقيادة التحالف، فى منزل منير الريس، بمدينة غزة، بعد ظهر أحد أيام الثلث الأخير من يوليو / تموز ١٩٦٧.

حين دخل مندوبا الجيش والشيوعي منزل منير الريس، فوجئا بوجود شخص لم يسبق لهما أن رأياه؛ وسرعان ما توافد الأشخاص المتفق عليهم، واكتمل الحضور، عدا فاروق الحسيني. صمت الجميع، فى انتظار انصراف الغريب، بعد أن توقعوا أن يكون من فلسطيني ١٩٤٨، إلا منير الريس، الذى بادر بافتتاح الجلسة، وسط استهجان الجميع من عدم تحلى الريس بالأمن المطلوب. وحين لاحظ الأخير استهجانهم، اوضح لهم بأن فاروق الحسيني اعتذر عن الحضور، مما جعل الريس يدعو أخاه، الدكتور عبد الحى الحسينى، للحلول محله !

صمت الجميع، فيما ابتسم صباح ثابت، لما اعتبره توريط الجميع، فى الأمر المقضى، حيث يتمتع عبد الحى الحسينى بعضوية حركة القوميين العرب فى القطاع، وبذا يصبح للحركة عضوان فى قيادة التحالف؛ ومن جهة اخرى فان عبد الحى لايتمتع بالمطلوب توفره فى الشخصية المستقلة عضو قيادة التحالف، من حضور عالمى، واقليمى، ومحلى؛ ناهيك عن اعتماد التمثيل الشخصى، دون الإنابة، أو علاقة الدم؛ فنحن لسنا في مؤسسة عشائرية، بل سياسية، تحكمها معايير لاتمت للعشائرية بصلة. اكتفى الحضور بمراسيم

الافتتـاح، وانفـض الاجتمـاع سـريعا، بعـد أن اتفقـوا علـى الموعـد التالى.

حملت قيادة الحزب الشيوعى مندوبهـا إلـى التحـالف وجهـة نظرها المومأ إليها عاليه فـى موضـوع احـلال د. عبد الحـى محـل شقيقه. وسرعان ما التقى مندوب الشيوعى بمندوب الجيش، ولاحـظ تطابق وجهة نظـر الثـانى ووجهـة نظـر الحـزب، فـى هـذا الصـدد. فانطلقا معا إلى حيث ثابت، وعرضوا عليه مـا اعتـبراه أول انتهـاك صـارخ للاتفاق.

اعتذر ثابت عن هذا "الخطأ الصغير غير المقصود"، وطالب مندوبى الجيش والشيوعى بتمرير هذا الخطأ، حفاظا على التحـالف، وعلى مشاعر منير الريس، الذى تصـرف علـى مسـؤوليته فـى هـذا الاحلال. لكن المندوبين رفضا منطق ثابت، وتمسكا بضرورة تعديل الوضع الخاطئ الذى نشأ، بغض النظر عما اذا كان قد اقترفه منـير الريس أو صباح ثابت نفسه. واقترحا بـأن يصلحـا الأمـر مـع منير الريس، ويقنعاه بمدى خطأ مبادرتـه، اذا مـا كـان هـذا الانتهـاك مـن صنعه. لكن مندوب القوميين العرب رأى فـى ذلـك إحراجـا لمنـير الريس؛ وعندما ألح عليه المندوبان، اقـترح ثـابت بـأن يعـالج الأمـر بنفسه مع منير الريس.

حين أزف موعد اللقاء الثانى، اصطحـب مندوب الشيوعى مندوب الجيش إلى منزل منير الريس؛ ومـا أن اقتربا من المـنزل،

حتى لاحظا وصول د. عبد الحى الحسينى برفقة صباح ثـابت، ممـا أكد لهما مدى اصرار الأخير على تكريس الانتهاك، باعتبـاره أمـرا مقضيا. فاستمرا فى سيرهما، لايلويان على شئ؛ دون أن يدلفـا إلـى منزل الريس.

هكذا أخفقت أول محاولة لإقامة تحالف وطنـى فـى مواجهـة الاحتلال الإسرائيلى الثانى لقطاع غزة، بفعل عصبوية ثابت وضيق افقه.

الجبهة تقوم

أعـاد الحـزب الشيوعي النظـر فـى الأمـر، وقـررت قيادتـه التحرك السريع لاقامة تحالف بدون القوميين العرب، الذين يحاولون تفويت السـانحة، وكسـب الوقـت، ومضاعفـة عـدد المندوبيـن الذيـن يمثلونهم داخل قيادة التحالف، عبر مؤامـرات صغيرة، لاتليق بمـن يرزح ترابه الوطنى تحت الاحتلال.

عاد مندوبا الحزب والجيش، فاتصلا بقيادتى فرعى البعث، و ج. ت. ف.، اللتـان وافقتـا، مـن فورهمـا، علـى اقامـة التحـالف، واتفق الجميع علـى ضـم شـخصيتين مسـتقلتين إلـى قيـادة التحـالف. هما: د. حيدر عبد الشـافى، وسـامى أبـو شـعبان. وهمـا شـخصيتان وازنتان؛ أولهما مدير (وزير) الصحة فى قطـاع غـزة، فـى مـا بيـن سـنتى ١٩٥٧ و ١٩٦٠؛ ثـم رئيـس المجلـس التشـريع (١٩٦٢-

١٩٦٤)؛ قبل أن يصبح عضـوا فـى أول لجنـة تنفيذيـة لمنظمـة التحرير (١٩٦٤ – ١٩٦٥)، ويتمتع بشعبية واسعة، بسبب مواقفه الصلبة في كل القضايا التى تمس حياة شعبه. أما أبو شعبان فتربوى مرموق، ونقيب المدرسين، ورئيس جمعية موظفى الحكومة فى القطاع.

وعلـى أعتـاب مطلـع أغسـطس / آب ١٩٦٧، التـأم أول اجتماع لقيادة التحالف، واتفق المجتمعون على أن يحمل التحالف الوليد اسم "الجبهة الوطنية المتحدة فى قطاع غزة".

وفى اجتمـاع ١٩٦٧/٩/٣٠، اعتمدت قيادة الجبهة ميثاق الجبهة، الذى تقدم مندوب الشيوعي بمسودته، وتضمن الدعوة إلى وحدة صفوف شعب القطـاع؛ وحشـد الطاقـات، وتنظيمهـا، وتصعيـد المقاومـة، من أجل إجباط مشاريع الإحتلال الاسرائيلى، وافشال أغراضه. وبصدد أشكال النضال، فان الميثاق ذكر بأن الجبهة ستناضل "بالاساليب التى تراها مناسبة" من أجل :

١- سحب قوات الاحتلال الإسرائيلى؛

٢- عودة الادارة المصرية إلى قطاع غزة؛

٣- اسقاط مشاريع التصفية والتشريد؛

٤- مقاطعة سلطات الاحتلال الإسرائيلى، فى شتى المجـالات، ومقاومة مؤامراته، الرامية إلى تهويد الحياة فى قطاع غزة.

بعد الميثاق، جرت المصادقة السريعة عن "انتظـام الداخلـي" للجبهة. وإن أدت بساطة العلاقات بين أطراف الجبهة، وخلوها من التعقيدات والحساسيات، إلى انتفاء الحاجة إلى "لائحة داخلية"، تنظـم العلاقات في ما بين أطـراف الجبهـة، وترسي آليـة العمـل داخلهـا. الأمر الذي تعزز مع تكفل الحزب الشيوعي بحمل جل مهام الجبهة، وكل الجوانب التنفيذية.

سرعان ما طلب مندوب الجيش إعفاءه من حضور جلسـات قيادة الجبهة، لاعتبارات أمنية، مفوضا مندوب الشيوعي التصويت نيابة عنه.

وواظبت قيادة الجبهة على عقـد اجتمـاع اسبوعي لهـا، فـي منزل الدكتـور حيـدر عبد الشـافي. ودارت عجلـة العمـل، بسـرعة مطردة. وضمت القيـادة عـدا الشـخصيتين المستقلتين – فـؤاد بنـات (ج. ت. ف)؛ عبـد الرحمـن الحـاج (البعـث)؛ عطيـــة مقـــداد (*) (الشيوعي).

(*) معروف بأن الحزب الشيوعي كان قد فصـل مقداد من عضويتـه، ربيـع ١٩٥٧، حيـن كـان مسؤولا عـن المجـال التنظيمـي فـي الحـزب؛ لكن البعض أعـاده إلـى الحزب، فيما أصر الآخرون على استمرار استبعاده، خشية تكراره جريمة ١٩٥٧. وأخيرا تم التوصل إلى صيغة مؤداها ألا يطلع علـى أسـرار العضويـة، والأجهـزة الفنية (المطابع)؛ ويكتفى بتوليه مسؤولية العلاقات الخارجية للحزب. أمـا كيف تـم القبول بهذه الصيغة التي تنتهك الحد الأدنى من التقاليد الحزبية فلهذا مجـال آخـر، عند الحديث في كتـاب آخر عن تـاريخ "الحـزب الشـيوعي الفلسـطيني فـي قطـاع غزة".

وسر عان ما وضعت قيادة الجبهة الخطـط العامـة، ورسـمت الخطوط العريضة لمختلف أنشطة الجبهة، فـى المجـالات السياسـية، التنظيمية، والدعائية. لكن كيف سار العمل فى هذه المجالات ؟!

الفصل الثانى

فى البدء كان التنظيم

الفصل الثانى
فى البدء كان التنظيم

امتلك الحزب الشيوعي من المقومات ما أهله للاضطلاع بالمسؤوليات الأكبر فى الجبهة؛ فقد عمد إلى اعادة بناء تنظيمه، وتقويته، لأن ذلك من شأنه تقوية الجبهة، مما يصب فى مصلحة العمل الوطني عموما. وقد تدرج الهرم التنظيمى للحزب من الخلايا فى القاعدة، إلى اللجنة المركزية فى القمة، مرورا باللجان المحلية لكل مخيم، وحى، وقرية، ثم لجان المناطق. وانحصرت عملية صناعة القرار الحزبى فى اللجنة المركزية عبر مكاتب مركزية ثلاثة هى : التنظيم؛ الدعوة والفكر، المالى والفنى؛ تجمعها سكرتارية مركزية، تضم مسؤولى المكاتب الثلاثة، وهى فى حالة اجتماع دائم، ومهمتها تسيير العمل اليومى ومتابعة التكليفات، والتنسيق بين مختلف أنشطة الحزب.

اتبع الحزب فى إعادة بنائه، وممارسة نشاطاته، الأساليب الحزبية المتعارف عليها، والواجب اتباعها، فى حالة حزب سرى يواجه احتلالا. وظل على رأس سلم أولويات الحزب المحافظة على ديناميكية التنظيم، ومرونته، وابتكار أساليب عمل ونضال ملائمة؛ مع الاستجابة للمستجدات، دون الخروج عن استراتيجية الحزب.

معروف بأن المسألة التنظيمية [1] تتحصر فى العلاقات وآلياتها، ومدى ديناميكيتها :

- علاقات بين النظرية والتطبيق؛
- علاقات داخلية بين أعضاء التنظيم نفسه؛
- علاقات بين قواعد التنظيم وقياداته؛
- وعلاقات بين التنظيم وجماهيره.
- فضلا عن علاقات من نوع آخر، مثل :
- علاقات الجماهير بكل من المعركة والعدو،
- وعلاقات التنظيم بالواقع المحلى، الاجتماعى، والسياسى، والثقافى.

أما الجبهة الوطنية المتحدة، فقد شكلت قاعدة أكثر اتساعا، تتكون، أساسا، من اللجان الوطنية.

تميزت بنية هذه اللجان بعدة خصائص، تحمل بصمات واقع شعبنا فى قطاع غزة. وفى مقدمة هذه الخصائص أن اللجان الوطنية لم تتخذ شكل تنظيم هرمى مركزى متكامل، أو حتى بنية تنظيمية متجانسة، على أى نحو من الأنحاء. فقد اجتذبت اللجان فئات

(١) ثمة بدهية لينينية، تؤكد استحالة فصل المسائل السياسية، ميكانيكيا، عن المسائل التنظيمية. فالأخيرة ليست فنية خالصة. على أن الاعتناء المكثف بالمسألة التنظيمية بمثابة الخبز اليومى للمناضلين؛ حيث عليها يتوقف جزء كبير وأساسى من مستقبل النضال.

وقطاعات اجتماعية متباينة، لا يجمعها إلا الرغبة الصادقة في مقاومة الاحتلال، فيما تفاوتت درجة الوعي والاستعداد للتضحية، والميل للتنظيم. حتى أن هذه اللجان طالما ضمت اناسا تربوا على الاعلام الرسمي العربي، الذي دأب، لأكثر من خمسة عشر عاما متواصلة، على تلقين معاداة الحزبية والعمل الحزبي، ومن باب أولى الشيوعية. لذا، فقد ضمت اللجان هذا الجمع المتنافر في أشكال تنظيمية متباينة. وقد ابتدعت أشكال تنظيمية بسيطة لجذب أوسع دائرة ممكنة من شعب قطاع غزة إلى الجبهة، في سبيل تعزيز مقاومة المحتل، بتنظيمها، وتوحيدها، وتجديدها، بعد توفير الضمانات بمدها المتصل بالدماء الجديدة. ولم يمض وقت طويل حتى أدار هؤلاء المعادون للحزبية والشيوعية ظهورهم للمقولات التي سبق أن لقنت لهم، بعد أن انخرطوا في النشاط الجبهوي، حيث تأكد لهم مدى مضاء العمل التنظيمي، وقوة الوحدة الوطنية.

كان المخيم المجال الحيوي الأول للتنظيم في قطاع غزة. فهو رمز النكبة، وأغلب سكانه ينتسبون إلى القطاعات الاجتماعية الكادحة، كما أن أهالي كل قرية ومدينة يقيمون في أماكن متجاورة. وقد عزز تدني مستوى بيوت هذه المخيمات، من إحساس سكان المخيم بأن بقاءهم فيه مؤقت، في انتظار العودة إلى بلادهم الأصلية، فضلا عن سمات اخرى، مثل: الكثافة السكانية العالية فيه،

وطرقه المتعرجة الشديدة الضيق، والتى تجعل من تحرك الآليات فيه شبه مستحيل[1].

رسمت قيادة الجبهة الوطنية المتحدة، على الورق، شبكة من المنظمات المحلية، على امتداد القطاع كلـه، ثم عمدت إلـى تحويل هذا التخطيط الهيكلى إلى واقع ملموس.

باللجـان الوطنيـة امتلكت الجبهــة صيغــة تنظيميــة شـديدة المرونة، مفتوحة لكـل مـن يبغـى المشـاركة فـى مقاومـة الاحتـلال، ويوافق على ميثاق الجبهة، ويلتزم بنظامهـا الداخلـى. وقد توزعت هـذه اللجـان الوطنيـة علـى الأساسين الجغرافــى (مكــان الإقامــة)، والمهنى (موقع العمل)، فى آن معا. وهذا مظهـر آخـر مـن مظـاهر المرونة الشديدة التى اتسم بها تشكيل هـذه اللجـان. وأذكـر أن حجم هذه اللجان بلغ، اواسط ١٩٦٨، حوالى خمسمئة عضو.

---

(١) فـى العـام ١٩٦٥، كـان فـى القطـاع ٣٠٦,٤٨٧ لاجئـا مــن مـدن وقـرى فلسـطينية مـن خـارج قطـاع غـزة، اقـام منهـم فـى المخيمـات ٢٣٣,٥٧٢ نسمة، توزعوا على مخيمات القطــاع الثمانيـة علـى النحـو التـالى : مخيـم الشاطئ (٣١,٢٠٦)، مخيم جباليا (٤٠,٢٢٧)؛ مخيم دير البلح (٩,١٤٠) مخيـم البريج (١٣,٦٠١) مخيـم النصـيرات (١٩,٤٩٧) مخيـم المغــازى (٩,٥١٠)، مخيم خان يونس (٥١,٥١٥)، مخيم رفـح (٥٨,٨٧٦). وذلـك من أصـل ٤٢٧,٩١٠ نسـمة، هـم إجمـالى سـكان القطـاع أنـذاك. انظـر :

إدارة الحـاكم العـام لقطـاع غـزة، نشـرة الاحصـاءات الرسمية لعام ١٩٦٥.

اتسمت الأسابيع الأولى من قيام الجبهة بقيام تنظيم فضفاض، غير متناسق فى هيكليته، يضم لجانا وطنية متناثرة، هنا وهناك، لايجمع بينها إلا الرغبة فى مقاومة المحتل الإسرائيلى. على أن استمرار الكفاح، وبدء النهوض الوطنى، زادا من جذرية الجبهة، سياسيا، كما عززا من فعالية تنظيم الجبهة، وتجانسه وانضباطه، ومن ثم اقتربت هيكليته، كثيرا من هيكلية الأحزاب الشيوعية فى التنظيم.

مع مرور الوقت، ابتدعت هذه اللجان منطقها، ومؤسساتها، وأساليبها، وآليتها الخاصة. وفى مدى عدة أسابيع، قفز عدد المنضوين تحت لوائها، قفزات فلكية وغدا هيكلها الضيق تشكيلا مترامى الأطراف، مهيأ لحمل مهام المرحلة الجديدة.

بعد أن نجحت الجبهة فى تنظيم الكثير من اللجان الوطنية، التى توزعت فى أرجاء القطاع، عمدت إلى شن حملة واسعة استهدفت تحريك جماهير الشعب.

تمكن تنظيم الجبهة من تجميع الجماهير الشعبية من حول الجبهة وبرنامجها، وشعاراتها، بشكل يفوق أكثرالتوقعات تفاؤلا؛ إذ كانت جماهير القطاع محبطة، غاية الاحباط، متشككة، إلى أبعد حد، بفعل الهزيمة العربية الساحقة والسريعة، فى وقت كانت فيه هذه الجماهير تعد نفسها كى تدخل تل أبيب ! مما جعلها لا تصدق أية وعود تقدم إليها، بل لم تكن تثق فى قدرة أية حكومة عربية – ومن

باب أولى أى حزب سياسى محلى متواضع الإمكانات - على مواجهة إسرائيل.

سرعان ما وصلت الجبهة بمنظماتها إلى كل ركن من القطاع، بمدنه ومخيماته وقراه. ولم تكتف الجبهة بالانتشار الافقى فى القطاع، بل تمكنت، أيضا، من تعميق انتشارها هذا، حتى لا يصبح مجرد انتشار سطحى.

بوصول الجبهة إلى هذه الدرجة من الانتشار، انتقلت إلى مرحلة العمل، بما يستجيب لاحتياجات النضال، وتحولت من مجرد التحريض إلى القيادة الفعلية؛ ويمكن إيجاز أهم ملامح هذه المرحلة على النحو التالى :

١- تم تعزيز النشاط فى المناطق التى تضعف فيها قبضة المحتل وسطوته.

٢- انبث دعاة الحزب والجبهة بين أهالى القطاع، بهدف تأكيد إمكان مقاومة الاحتلال وجدواه، فضلا عن وجوبه وضرورته. أما التحريض على الاحتلال الإسرائيلى فلم يكن ضمن مهام الدعاة، إذ كانت هذه المهمة قد أنجزها الاحتلال الإسرائيلى نفسه.

٣- وجهت ضربات محدودة ضد بعض المتعاونين مع المحتل، كما تم تحذير بعض الانهزاميين.

لم يكن الأمر سهلا خاليا من الصعوبات، فقد اصطدمت الجبهة، منذ البداية، بواقع الاحتلال المستجد، والذى يتطلب أساليب وتكتيكات جديدة، خاصة فى مجال التنظيم، مع عدم الانصياع لضغوط الواقع على حساب النظرية، ولا يهدر الأولى لحساب الأخيرة، بل بتطبيق النظرية بإبداع ومرونة، لا يجعلها قيدا عليه بل يغنيها. متمسكا بالمقولة الشهيرة التى تعطى النظرية لونا رماديا، بينما تعطى الحياة مسحة اللون الحاسم المتفائل بحيث يتطلب الأمر الذهاب من النظرية إلى الحياة، والعودة منها إلى النظرية، مرة اخرى، لاكسابها الروح المتجددة.

إن تسيير وتوجيه أى حزب يهون أمره، أمام تنظيم حركة جماهيرية والتعامل معها. إذ يفترض أن الأول يضم أناسا ذوى وعى سياسى رفيع، واستعدادا عاليا للتضحية؛ وقدرة فائقة على قيادة الجماهير، وشعبية ملموسة فى مجالاتهم، ناهيك عن التاريخ النضالى، الذى لا يمكن إنكاره. لذا فهم الأقدر على الانضباط، بما يحركهم تجاه الأحداث الجارية وكأنهم كتيبة واحدة. أما حركة الجماهير، فتفتقر إلى التجانس الفكرى والسياسى وهى عصية – إلى حد ما – على التنظيم، وضعيفة الاستجابة لدواعى الانضباط. وحين تتحرك جموع الجماهير، فإنها تتحرك بعقل جماعى واحد، يتدنى إلى عقل أكثر المتحركين بساطة وأدناهم وعيا سياسيا.

لأن زراعة الكادر الحزبى هى أقرب إلى زراعة الزيتون، بما يتطلبه من وقت طويل، وجهد جهيد، وأناة صبور، حتى تطرح ثمراتها، فإن الجبهة عمدت إلى اسلوب زراعة القمح لما يعطى من حصاد سريعة، ووفيرة، فى مدة قصيرة. وهو الأسلوب الأكثر ملاءمة للتعامل مع حركة الجماهير فى مواجهة احتلال أجنبى، يجب أن تلطمه حركة المقاومة، منذ اللحظة الأولى التى تطأ فيها أقدامه أرض البلاد.

تصدى لقيادة الجبهة قيادتان، فى آن معا، أولاهما : قيادة التخطيط العريض، وضمت مندوبا عن كل فصيل وافق على الاشتراك فى هذه الجبهة، فضلا عن بعض الشخصيات النقابية الفاعلة. وقد انحصرت مهمة هذه القيادة فى تحديد سياسة الجبهة ومواقفها حيال الأحداث الجارية، مع مراقبة أداء الجبهة. ثانيتهما : القيادة الميدانية للجبهة، وأخذتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعى، على عاتقها، نظرا لافتقار الفصائل الاخرى المشاركة فى الجبهة، إلى أجهزة تنظيمية وفنية كافية، وقادرة (1)؛ فتولت قيادة الشيوعى

(1) أنكر أن مندوب أحد الفصيلين الآخرين احتج، ذات مرة، بأن مواد الصحيفة التى تصدرها الجبهة "المقاومة" تكتب بواسطة الشيوعيين، وتطبع فى مطابعهم، مما دفع مندوب الحزب الشيوعى فى قيادة الجبهة إلى أن يعرض على هذا المعترض، بأن يأخذ حزبه على عاتقه هاتين المهمتين بدلا من "الشيوعى". فتلعثم هذا المندوب وتراجع فى مطلبه إلى مجرد كتابة مقال، فرحب الجميع بطلبه المشروع هذا، إلا انه لم يقدم=

تسيير عمل الجبهة، وكتابة وطباعة مطبوعاتها كافة، مع الاشراف على قيادة ومتابعة كل اللجان الوطنية، والتنسيق بين مختلف أنشطة الحزب والجبهة، ومتابعة التكليفات، والمهام الموكلة للأعضاء، أو المنظمات فى كل من الحزب والجبهة، على حد سواء.

ولعل هذا كله - عدا اتساع حجم الحزب الشيوعى، قياسا إلى بقية الفصائل المشتركة فى الجبهة - قد أدى إلى أن يصبح الحزب الشيوعى العمود الفقرى لهذه الجبهة. وإن حرص على عدم الظهور فى صورة أنه الجبهة والجبهة هو. فجهد كى يبقى الحدود الفاصلة بين الجبهة والحزب أولا، وبين اللجان الوطنية والخلايا الحزبية ثانيا. وترك الفرصة متاحة، وفتح الباب على مصراعيه

=المقال الموعود. وفى مرة اخرى احتج المندوب نفسه بان قيادة الجبهة لم توكل إلى حزبه مهمة المشاركة فى توزيع منشورات الجبهة. فخير فى توزيع المنشورات فى أية منطقة يختارها بحيث لا يوزع "الشيوعى" فيها. واكتفى المندوب المعترض بأخذ مهمة التوزيع فى محلية مخيم المغازى، واعطى الكمية المصروفه للمخيم المذكور من منشور، كان يدعو إلى الاضراب السياسى العام، فى مناسبة مرور خمسين عاما على صدور "وعد بلفور"، وأحد عشر عاما على الاحتلال الاسرائيلى الأول لقطاع غزة. وكانت المفاجأة حين تم توزيع المنشور فى كل أرجاء القطاع، دون المغازى ولم يبلغ المندوب المذكور قيادة الجبهة بهذا التقصير. وحين تمت مواجهته اعتذر بأن مسؤول التوزيع فى حزبه كان فى زيارة للضفة الغربية، عند حلول ساعة الصفر ! بعدها لم يجرؤ هذا المندوب على التحرش أو التصدى لحمل أية مسؤولية، أو أخذ أية مهمة أو واجب، على عاتقه أو عاتق حزبه.

لبقية الفصائل المشتركة فى الجبهة، كى تساهم فى أنشطة الجبهة.أما حالات تقاعس بعض هذه الفصائل، فلم يكن الحزب مسؤولا عنها، بكل المعايير. طبيعى، والأمر كذلك، أن يترك الحزب بصماته أكثر من غيره من الفصائل الاخرى المشاركة فى الجبهة، على تنظيمات، وتكتيكات، وأداء، وآلية عمل الجبهة.

لقد مر تنظيم الجبهة بثلاث مراحل، خلال الأعوام الأربعة من عمر الجبهة :

- محاولة توحيد القوى والشخصيات والأفراد، تحت راية الجبهة الوطنية ومقاومة المحتل. وقد انتهت هذه المرحلة، بعد مرور زهاء شهرين من دخول المحتل الإسرائيلى إلى قطاع غزة. وهنا تم حشد قوة لا يستهان بها تحت راية الجبهة.
- تبعتها مرحلة التمدد والانتشار، وهى التى استمرت حتى مطلع العام ١٩٦٨. وبالرغم من الانتشار الواسع للجان الوطنية، إلا أنها ظلت جزرا مقطوعة الصلة ببعضها البعض، إلى حد ما، طوال المرحلة الثانية.
- أما المرحلة الثالثة، فهى التى جرت فيها إعادة تنسيق اللجان الوطنية، فى محاولة لاضفاء الانسجام البنيوى عليها. فالحقت هذه اللجان بمناطقها الجغرافية، وبهذا تم توحيد هذه البنية، بعد ان كان بعض هذه اللجان يلحق بموقع عمل أعضائه، وبعضها الآخر بموقع الإقامة، أو فى الموقعين معا. وقد ارتبط معظم هذه

اللجان بخلايا الحزب. وبمرور الوقت أمكن ترك المسـؤولية فـي بعض اللجان لواحد من بين أعضائها، لأن عدد أعضـاء الحـزب لم يكن يكفي لتغطية مسؤولية كل هذا العدد من اللجـان الوطنيـة، من ناحية، ولأن بضعة أسابيع كانت كافية لفرز أعضاء من بيـن هذه اللجـان، يصلحـون لقيادتهـا، ويتسمون، أيضـا، بممـيزات أعضاء الحزب، من وعي سياسي، واستعداد للتضحية، وشـعبية، وقدرة على القيادة والمبادرة، من ناحية اخرى.

يمكن القول بأن المرحلة الثالثة ابتـدأت مـع اشـتداد معـدلات الارهاب الإسرائيلي، وتمكن المحتـل مـن توجيـه ضربـات قاصمـة، فـي كـانون الثـاني (ينـاير) ١٩٦٨، إلـى كـل مـن تنظيمـات جيـش التحرير الفلسطيني، وطلائع المقاومـة الشـعبية [1]. فمـع هـاتين الضربتين، وتعرض بعض قادة الحزب والجبهـة للمطـاردة، وعجـز سلطات الاحتلال عن اعتقال أي منهم، تعززت ثقة اللجـان الوطنيـة بقيادتها، وبمدى إحكام تنظيمها، كما أثار هذا الأمر إعجاب جمـاهير القطاع بالجبهة الوطنية، وأدائها، ودقة تنظيماتها.

لم يكن هذا الأمر يتطلب من قـادة الجبهـة والمكشـوفين مـن كوادرها سوى تنفيذ تعليمات الاختفاء الجزئي، القاضيـة بعدم تـردد

---

(١) الفصيل الذي أقامه فرع حركة القوميين العرب فـي قطـاع غـزة، خريـف ١٩٦٧، وضم أصدقاء الحركة هناك، فضلا عن أعضاء الفرع العاملين.

الأعضاء على بيوتهم، أو النوم فيها، بل عدم البقاء فى أى موقع أو مكان مكشوف لأكثر من عشر دقائق متصلة.

غنى عن القول إن هذه التعليمات أخذت عن خبرات قيادة الحزب الشيوعى، الذى تمرس طويلا فى مجال العمل السرى، خاصة خلال تجربته السابقة فى مواجهة الاحتلال الإسرائيلى الأول لقطاع غزة (١٩٥٦ - ١٩٥٧)، فيما بقية الأحزاب وقياداتها افتقرت إلى مثل هذه الخبرات.

فى هذه المرحلة تم إدخال التثقيف السياسى إلى اللجان الوطنية، فقدمت إليها الكراسات المختلفة، حول : "الصهيونية"، و "جيش الشعب وحرب الشعب"، و "كيف تواجه الاستخبارات الإسرائيلية".

كان من الطبيعى، فى بعض الأحيان، أن يهاجر بعض أعضاء اللجان الوطنية، بسبب فزعهم من احتمال اعتقالهم، بالجملة، على غرار ما جرى فى كل من جيش التحرير وطلائع المقاومة، حيث توصل المحققون الإسرائيليون إلى تفاصيل دقيقة عن هذين الفصيلين، بعد ان سلم المسئول العسكرى لطلائع المقاومة نفسه للمحتل، حيث عثر المحققون على قائمة بأسماء أعضاء الزراع العسكرية لطلائع المقاومة، وعلى سجل يتضمن جملة التعليمات التى وصلت، طوال عشر سنوات، إلى فرع حركة القوميين العرب فى قطاع غزة، من الأمانة العامة للحركة فى بيروت، الأمر الذى

دفع الكثيرين من أعضاء اللجان الوطنية للتساؤل، فى خوف ظاهر، عما إذا كان لدى قيادة الجبهة قوائم بأسماء أعضاء الجبهة. وكان الجواب بالنفى. فوجود مثل هذه القوائم يتنافى مع أبسط شروط العمل السرى. وهو ما لم يدركه القائمون على فرع القوميين العرب بالقطاع، الذى ظل ينشط علنا فى قطاع غزة، منذ تاسيسه وحتى احتلال القطاع (١٩٦٧). مما يكشف[1] عجز قيادة الفرع، عن التلاؤم مع الأوضاع المستجدة. أى أنها فشلت فى تحقيق الانتقال من العلنية إلى السرية، ومن تأييد النظام السياسى القائم، إلى مقاومة نظام الاحتلال الجديد. وما يستتبع هذا الانتقال من تغيير فى الأداء، والأساليب، والأدوات.

هكذا استكملت "الجبهة الوطنية المتحدة" مقومات وجودها النضالى، على أرض قطاع غزة المحتل، وبدأت تمارس دورها فى مقاومة المحتل، وسعت إلى تجذير قاعدتها فى القطاع، فأقامت تجمعات للقطاعات الشعبية بالقطاع (الطلبة؛ المعلمون؛ النساء)، وتم تشكيل لجان قيادية لهذه التجمعات [2] ، وقد عكس ذلك مدى اتساع العمل الجماهيرى للحزب والجبهة، وقوة نفوذهما، فى آن معا.

---

(١) برغم من إفشاء أسماء ثلاثة من قادة الجبهة الوطنية، إلا أن قوات الاحتلال عجزت عن اعتقال أى منهم.

(٢) اللجنة الوطنية للطلبة"؛ "اللجنة الوطنية للمعلمين"؛ و "اللجنة الوطنية للنساء"، على التوالى.

والجدير بالملاحظة هنا، أنه لم يتم استحداث مكتب مركزى للعمل الجماهيرى، حسب الأصول المتبعة، والتى تقضى باستحداث مكاتب مركزية بما يستجيب لاحتياجات العمل، ويعمق الديمقراطية الداخلية، بل تم دمج العملين التنظيمى والجماهيرى فى مكتب التنظيم المركزى، أو - بتعبير أدق - الحق العمل الجماهيرى بالعمل التنظيمى.

بذا، يمكن تلخيص مراحل بناء الجبهة الوطنية الموحدة على النحو التالى :

- تم توحيد كل القوى الوطنية فى القطاع، فيما شذ فرع حركة القوميين، وحده، عن هذا الأمر.
- وبدأ القلب (قيادة الجبهة) فى كسو الهيكل باللحم، وفى مد الجسم بالدماء. وبقى الحزب الشيوعى بمثابة الخط الأول للجبهة، والتنظيم الطليعى والنواة القيادية للتنظيم الجماهيرى (اللجان الوطنية).
- ثم انتقلت الجبهة إلى تكثيف دورها النضالى فى مقاومة المحتل الإسرائيلى، وسعت
- فى الوقت ذاته - إلى الانتشار فى شتى ربوع القطاع، وتجذير قاعدتها بين صفوف القطاعات الشعبية كافة.

اكتمال الظاهرة

كانت صيغة "اللجان الوطنية" إبداعا، تم بواسطته تخطى المعادلة الصعبة [illegible] ضرورة تنظيم حركة الجماهير [illegible] وتعارض هذه الضرورة مع السرية [illegible] مواجهة محتل فاشى شرس.

ومع كل ما قدمته هذه التجربة الفريدة، فإنها لم تخل من بعض الهنات ونقاط الضعف. فقد أدى تدفق الأعضاء على الجبهة إلى عدم إيلاء اهتمام كبير بالنوعية. ولمواجهة تدنى مستوى وعى هؤلاء الأعضاء، تم التركيز على التثقيف بما هو أكثر أهمية، وبما له علاقة وثيقة بعمل أعضاء اللجان الوطنية اليومى. ومن جهة اخرى فلطالما اعتبر الأعضاء الجدد فى اللجان الوطنية أى انتقاد لعملهم بمثابة إهانة شخصية توجه إليهم، وتجرح كبرياءهم. واتسم هؤلاء الأعضاء بطابع المتطوعين، الذين يحتفظون بحقهم فى الانسحاب، أو العدول عن التطوع نفسه.

ويمكن تحديد أسباب انتهاء هذه التجربة الثورية التى اكتسبت الكثير من أسباب القوة والاستمرار فيما يلى :

أولا : ثمة أسباب ذاتية، على رأسها توالى الضربات والمطاردات التى اضطرت بعض قادة الجبهة إلى هجر القطاع، أو أوقعت بعضهم أسرى السجون الإسرائيلية، فيما النسبة الأقل سقطت شهيدة الواجب الوطنى. مما أسلم قيادة الجبهة إلى عناصر أدنى

كفاءة من الناحيتين النظرية والسياسية، وأقل تجربة واستيعابا للخبرات التنظيمية والجماهيرية. فبعد أن تم تقسيم قطاع غزة، من قبل قيادة الحزب، إلى عشر لجان محلية، والغيث لجان المناطق، ووضع على رأس كل لجنة محلية عضو لجنة مركزية، تتوفر له أقصى درجات الأمان؛ تولى مسؤولية المكتب التنظيمي للحزب أحد قادة الصف الثاني، بعد اضطرار المسؤول الأول لهذا المكتب إلى مغادرة قطاع غزة، ربيع العام ١٩٦٨، فجمع المسؤول الجديد محليات قطاع غزة في لجنة منطقة واحدة، ولم يستوعب الحكمة من التوزيع السابق، الذي يؤدي إلى حصر الخطر في لجنة محلية واحدة، في حال ضرب أو اعتقال أحد الأعضاء التابعين لها، وعجزه عن الصمود امام المحقق الإسرائيلي. وقد أدى ذلك إلى اعتقال النسبة الغالبة من أعضاء الحزب والجبهة، عند أول ضربة، بعد تولي العضو المذكور مسؤولية المكتب التنظيمي بعشرة شهور،الأمر الذي اضطر من تبقى من الأعضاء إلى اعتماد أكثر الصيغ التنظيمية ضيقا، وهي صيغة التوزيع العنقودي، وفيها تم تقسيم الحزب والجبهة إلى جزر صغيرة منفصلة، تتيح للقيادة الاتصال بكل خلية أو لجنة وطنية على حدة. وهكذا، تم تقسيم الحزب والجبهة إلى أدنى وحدات ممكنة.

ثانيا : ومن ناحية العوامل الخارجية، فإن على رأسها تلك الضربات القاصمة التي تلقتها المقاومة الفلسطينية في الأردن، خلال ضربتي أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠، وتموز (يوليو) ١٩٧١. وهما

الضربتان اللتان أفضتا إلى إخراج المقاومة من الأردن، بعد مقتل نحو ألفين من عناصرها، واعتقال زهاء ثلاثة أضعاف هذا العدد. مما قاد المقاومة والحركة الوطنية الفلسطينيتين إلى حالة انحسار ثورى، بعد مد ثورى عارم، عاشتاه لنحو أربعين شهرا متصلة، بدأت بعيد معركة الكرامة (١٩٦٨/٣/٢١)، وانتهت بأحداث الأحراش تموز (يوليو) ١٩٧١.

مع هذا كله، فإن تجربة الجبهة تظل إحدى التجارب الثورية الفريدة فى القطاع، حيث قامت بدور رائد فى مقاومة الاحتلال، فى ظل حالة من التردى والاحباط، سادت القطاع وعمت الوطن العربى.

ويمكن القول بأن هذه الجبهة قد انفردت بعدة مزايا، اهمها :

* قيام تشكيلات ومنظمات جبهوية موحدة، تحت نفوذ فصائل مختلفة.
* وجود قيادة الجبهة داخل قطاع غزة، وليس خارجه، بعكس أغلب القيادات الفلسطينية، الأمر الذى وفر للجبهة عدة نقاط قوة، أبرزها السرعة فى الحركة، وتجنب تلقى التعليمات من خارج البلاد، من قيادة لا تستطيع أن تستوعب المستجدات، كما تعجز عن الاستجابة لاحتياجات اللحظة الراهنة.

* فضلا عن أن معظم قادة الجبهـة، وأغلـب كوادرهـا الوسـطى هـم ممن تمرسوا فى مقاومة الاحتلال الإسرائيلى الأول لقطــاع غـزة (خريف ١٩٥٦ – ربيع ١٩٥٧).

يجب ألا يغيب عن البال أن هذه الجبهة كـانت الوحيـدة مـن بين كل فصائل المقاومة الفلسطينية التى لم تتلـق عونـا ماليـا، دعمـا لنضالها، سواء كان مصدره قيادة م. ت. فـ.، أو أى نظـام عربـى. بل اعتمدت هذه الجبهة، تماما، على الاشتراكات المالية لأعضائهـا، وعلى تبرعات أصدقائها وأنصارها، وبذا تعززت أواصـر علاقاتهـا بجماهيرهـا وانعدمت شروط ارتهانهـا إلـى هـذا النظـام العربـى أو ذاك.

وبعد، فلقد كـانت الجبهـة أول مؤسسـة تحالفيـة فـى التـاريخ السياسى الفسطينى المعاصر، تجمـع بيـن جنباتهـا ثلاثـة تنظيمـات، متباينة المنطلقات الأيديولوجية والتوجهـات السياسـية، فمـن الاممـى (الشـيوعى)، إلـى القومـى (البعـث)، إلـى الوطنـى القطـرى (ج. ت. فـ.)، واذا كان الدينى (الاخوان) لم ينخرط فى هذه المؤسسـة فتلك مسؤوليته وحـده، إذ إنـه عمد إلــى تجـاهل الاحتــلال الإسـرائيلى للقطاع، لأكثر من عشرين سنة متصلة.

الفصل الثالث

خبرات صحافة سرية

الفصل الثالث
خبرات صحافة سرية

وضعت هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ القوى الوطنية في قطاع غزة وجها لوجه مع احتلال اسرائيلي، جاء على غير انتظار كل الأطراف، عدا الشيوعيين.

على أنه ما أن رزح الوطن تحت الاحتلال، حتى دخلت الصحافة السرية ضمن الخيارات الحتمية للمقاومة. فالسرية هنا ليست وليدة نزق، أو نزوة ذاتية، أو ترفا في غير مكانه، أو أوانه؛ فضلا عن أنها ليست هدفا، في حد ذاته فشراسة الاحتلال، والميل الفادح في ميزان القوى لصالحه، يدفعان الحزب المقاوم إلى التخفي، واعتماد السرية.

ما أن ينزل الحزب تحت الأرض، حتى يسحب معه صحافته، فتصدر بشكل سري. دون أن يمنع الحزب من أي سانحة للعمل العلني في شتى المجالات، بما في ذلك المجال الصحفي، طالما لايوفر مثل هذا العمل للمحتل شرعية أمام الرأي العام العالمي؛ أو يخل بشروط العمل السري وأمنه، بل يتكامل معه، ويتناغم. فالصحافة العلنية أقل جلبا للمخاطر الأمنية، بما لايقاس مع الأخطار المحدقة بالصحافة السرية، كما يتطلب الأمر جهدا أقل؛ فيما تتسع دائرة قرائها، أضعاف أضعاف الصحيفة السرية؛ التي تتطلب أقبية ذات أمان عال، وكواتم صوت للمطابع، وأعضاء عاملين غير مكشوفين للعدو؛ وأجهزة فنية خفيفة الوزن، بسيطة التركيب

والتشغيل، يسهل إخفاؤها؛ فضلا عن الجهود المكلفة والمضنية في سبيل توفير الورق، وحبر الطباعة، وصيانة الآلات، والدقة والإحكام في التوزيع؛ ناهيك عن أن العدو اذا اكتشف مواطنا يقرأ صحيفة سرية، فسيعاقبه بالسجن.

بيد أن لهذه المخاطر والمحاذير مردودها السياسي المجزي، فالصحيفة السرية أكثر صدقية في التعبير عن الحزب المقاوم، من نظيرتها العلنية، رغم صدورهما عن حزب واحد. أساسا بسبب استحقاقات العلنية، التي تضطر الصحيفة العلنية إلى دفعها، صاغرة، للعدو الطبقي أو الوطني؛ فتقدم أفكار الحزب ومواقفه، بشكل مهذب؛ وفي أحيان كثيرة منزوع الأظافر والأسنان، حتى أنه يمكن أن يغدو الحزب كله أسير هذا المكسب العلني. وليت الأمر يرضي رقيب الاحتلال، الذي يتوسع في استخدام مقصه ضد المواد الصحفية المقدمة له، مما يخل بالمضمون، ويشوه أفكار الحزب، ومواقفه.

بهذا تصبح الصحيفة العلنية تحت الاحتلال فخا، ينصبه المحتل للمقاومة السرية؛ باذلا قصارى جهده لاستدراجها إليه؛ حيث يحقق هذا الفخ للمحتل عدة مكاسب، في ضربة واحدة. فبعد أن يطل على أفكار الحزب، ومواقفه، ويستشرف مخططاته المستقبلية، ويوهم الرأي العام العالمي بأن الشعب لايرفض الاحتلال (*)؛ يطمع

(*)الأيام الاولى من احتلال القوات الاسرائيلية الضفة والقطاع، صيف ١٩٦٧، تلهفت هذه القوات لإضفاء الشرعية على احتلالها، فضغطت على شعب=

المحتل فى توريط الحزب المقاوم باستدعاء بقية أشكال كفاحه من تحت الأرض، حتى يقع الحزب فى الانحراف اليمينى والتفريط، والاستسلام للمحتل بشروطه؛ بعد أن يكون الحزب أقنع نفسه بأن الصحيفة العلنية مكسب لابد من الحفاظ عليه. وشيئا فشيئا، يتحكم أمر المحافظة على هذا المكسب فى ما عداه من أداء الحزب وأساليبه، فيغدو الحزب معارضا من النوع المستأنس غير الخطير.

على أن المحتل ليس الطرف الوحيد فى هذه المعادلة، حيث يمثل الحزب المقاوم الطرف الثانى، الذى لا تكتمل المعادلة بدونه. وعليه أن يستفيد من هامش حرية التعبير الضيق المتاح، شرط ألا يقع الحزب فى إسار هذا الهامش، فيطبق على خناقه. حيث أن المطلوب أن يستخدم الحزب هذا الهامش لصالح بقية أنشطته.

هكذا، تستمر عملية شد الحبل، كل يحاول جذب الطرف الآخر إلى أرضه. إنها لعبة خطرة، لايفلت من أضرارها إلا حزب

=الضفة والقطاع كى يصدر صحيفة. وهنا كمنت خطيئة الاستجابة لهذه الضغوط، فى حينه. على أنه منذ حاقت الهزيمة بالحركة الفدائية الفلسطينية فى الأردن، صيف ١٩٧١، وتأكيد بأن الاحتلال الاسرائيلى مرير؛ وبأن اصدار صحف علنية لن يضفى عليه شرعية، بل يفيد فى تخفيف واقع الهزيمة على شعب الضفة والقطاع؛ فضلا عن أن مثل هذا الإصدار يتفق مع منظومة التكتيكات المحددة التى استحدثتها الحركة الوطنية الفلسطينية، آنذاك.

صلب، محنك، يقظ، يعى أبعاد اللعبة؛ مما يؤهله لكى يأكل الطعم، ويبول على الصنارة، على حد تعبير مثلنا الشعبى الشائع.

اذا ما عدنا إلى الصحيفة السرية، فأن جماهير القراء يثمنون جهود الجنود المجهولين، ويقدرون عاليا التكاليف المادية والمعنوية الباهظة لاصدار صحيفة سرية؛ فيستقبلونها بما يليق بها من الجدية والاحترام والحب، فى آن معا. فيما يتلهف العدو لاقتناص نسخة واحدة من هذه الصحيفة، حتى يطل منها على ما يدور فى عقل الحزب، كما قد تكون طرف الخيط الذى يستدل به المحتل على منظمات الحزب السرية. لذا تعد هذه النسخة ذات قيمة أمنية سياسية وتنظيمية لاتقدر بثمن للعدو المحتل.

صحيفة "المقاومة"

حين تأكد رضوخنا لضرورة إصدار صحيفة سرية، اقترح أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى تسمية الصحيفة "الجبهة"؛ فيما تقدمت باقتراح اطلاق اسم "المقاومة" عليها، تيمنا بالمرحلة الثورية التى يمر بها الوطن. وتمت الموافقة، بالاجماع، على الاسم الثانى.

حتى لانقع فى محذور التضليل، اشير منذ البداية، أننا ربما كنا أمام أصغر صحيفة ثورية فى العالم، حيث لم يتعد حجمها ورقة فولسكاب واحدة (٢٠ × ٣٣سم)، تغطى الوجهين، مطبوعة على ورق حرير، بالآلة الكاتبة، قبل أن تسحب على آلة نسخ (رونيو)؛

في اخـراج بسيط، علـى ثلاثـة أعمـدة لكـل صفحـة. تعلـو صفحتهـا الأولى "ترويسة" تتضمن في الوسط اسم الصحيفة، وفي أذنها اليمنى "جريدة الجبهة الوطنية المتحدة"، وفي الاذن اليسـرى "قطـاع غزة / اسبوعية"؛ وبيـن خطيـن، يفصلهمـا سنتيمتر واحـد، أسـفل الـرأس والاذنين، ثمـة رقـم العدد، والتـاريخ الميـلادى لصـدوره، والسـنة. وتضمنت الصفحة الأولى المقال السياسى الرئيسى، مع كادر صغير في أسفل شـمال الصفحـة، فـى شـكل توجيـه مقتضـب، أو خـبر ذى أهمية استثنائية. فيما خصصت الصفحة الثانية للأخبـار، مـع تعليـق في عمود واحد، أو قصيدة، تحتل عمودا أو عمودا ونصف.

وامعانا فى السرية، وبسبب من ندرة الكفاءات الصحفية فـى الحزب والجبهة، فقد انحصر أمر تحرير هذه الصحيفة في ثلاثة من رؤوس الحزب، تولى اثنان منهم مهام الطباعة، أيضـا، إضافـة إلـى واجباتهما فى هيئة تحرير الصحيفة.

على أن هذا لم يعن بأن يقيننا بالقدرة علـى تجنـب ضربـات العدو كان كاملا. وليس أدل على ذلك من أننا طبعنا من كلا العددين الأول والثانى ٧٠ نسخة، فقط؛ وزعنا منها خمسين نسخة، لكل عدد؛ فـى حيـن أبقينـا عشـرين نسـخة للارشـيف. وطلبنـا أن تعـاد النسـخ الخمسين كاملة إلى مصدرها، من بـاب الحـرص الشـديد، والتحـوط من أن تقع أى نسخة في أيـدى الأعـداء المحتليـن. بيـد أننـا اكتشـفنا مدى صعوبة تنفيذ هذا الإجراء الأمنى؛ فبدأنا نطبع خمسمئة نسـخة. اعتبارا من العدد الثالث؛ والأهم من هذا أننا لم نعد نطلب إعـادة أى نسخة منها، بل طلبنا إلى كل من تقع فى يـده نسـخة مـن "المقاومـة"

أن يبادر إلى إطلاع الأشخاص الذين يثق فيهم عليها. ومعروف بأن عدد قراء النسخة الواحدة من الصحيفة العلنية يصل إلى ستة أشخاص، فيما يقفز إلى خمسة أضعاف هذا العدد بالنسبة للصحيفة السرية. ناهيك عن أن المجموعة الثانية تلتهم مواد الصحيفة كلها، بينما يختار قارئ الصحيفة العلنية موضوعا، او أكثر، ليقرأه، وغالبا مالا يتحمس له، هذا إن أكمله.

في البدء كان الفرز

منذ الأيام الأولى للاحتلال، توزع الناس في القطاع إلى ثلاثة تيارات؛ أصر أولها على ضرورة البدء بالتصدى المسلح للاحتلال، دونا عن بقية أشكال الكفاح، فيما دعا التيار الثاني إلى اللوذ بالصمت، مادامت جيوش عربية جرارة قد انهزمت؛ أما التيار الثالث، فرأى بأن التصدى للاحتلال واجب وممكن، في آن معا، شرط أن يتدرج هذا التصدى بأساليب الكفاح، بالترافق مع استعداد الجماهير للكفاح والتضحية؛ وكان هذا الاستعداد، وقتذاك، عند الصفر، بفعل الصدمة الشديدة التي تلقتها هذه الجماهير مع الهزيمة الخاطفة النكراء التي حاقت بالعرب.

هكذا، تواجدت في الشارع الغزى ثلاثة اتجاهات، تفاوتت ما بين المغامرة؛ والاستسلام، والثورية.

منذ البداية، انحزنا إلى التيار الثالث، دون تردد. وخططنا لنضال تحضيرى، يصل بنا إلى حالة جماهيرية تدحر القنوط

والإحباط، وتوفر يقينا بالنصر. وقررنا أن نبدأ باصدار صحيفة سرية اسبوعية.

على أن عقبات نفسية انتشرت، انتشارا وبائيا، في القطاع، اعترضت سبيلنا في صورة أسئلة استنكارية، مثل :"ما الذى يمكن أن تفعله صحيفة سرية صغيرة، بعدما دمرت – في ساعات. ترسانات الأسلحة العربية الضخمة في مواجهة اسرائيل ؟!"؛ و"هل تستطيع قوة وطنية أن تخفى أنشطتها عن عيون الأجهزة الأمنية للاحتلال، في الوقت الذى عجزت فيه دول عربية أكثر تأهيلا بما لايقاس، عن إخفاء أنشطتها، حتى وهى خارج دائرة الاحتلال الاسرائيلى؟!".

واجهتنا هذه الأسئلة المحبطة، منذ ما قبل تأسيس "الجبهة" لكننا لم نستسلم، بل قررنا مواصلة المحاولة.

بمجرد صدور العدد الأول من "المقاومة" – الصحيفة الاسبوعية السرية للجبهة – اندحر السؤال الأخير. إذ بصدورها تأكدت إمكانية ممارسة نشاط ما، دون أن تنجح أجهزة الاحتلال في كشفه. وهذا أمر بالغ الأهمية، حيث اتضح لشعب القطاع بأن أجهزة الاحتلال ليست قوة خارقة، أو "مكشوفا عنها الحجاب"، كما أنه في الإمكان مواجهتها، وهزيمتها، وأن الصورة ليست على ذاك القدر من القتامة التى عكستها الهزيمة العربية السريعة في حرب ١٩٦٧. وبذا تمت الإجابة عن السؤال الثاني؛ فيما ترك للزمن مهمة الرد على السؤال الأول. وأعتقد بأن بضعة أسابيع كانت كافية لإظهار مالهذه الصحيفة الثورية الصغيرة من تأثير عميق، بدا واضحا في

المقاومة التى نهضت مـن تحت الانقاض، مما جعل جبهة القتال لاتقوم على نهر الأردن، بل فى قطاع غزة منذ الاحتلال وحتى نهاية العام ١٩٧١، حين أخذ خط المقاومة الفلسطينية فى الهبوط المطرد، لأسباب عدة، فى مقدمتها : ضرب حركة المقاومة الفلسطينية فى شرقى الأردن، خريف ١٩٧٠ وصيف ١٩٧١، قبل اخراجها من هناك؛ مما أدى إلى إضعاف معنويات حركة المقاومة فى القطاع، وافقادها مصدر تمويلها بالسلاح؛ فضلا عن الأثر النفسى السلبى الذى خلفه غياب الزعيم العربى الكبير، جمال عبد الناصر (١٩٧٠/٩/٢٨)، وضرب الحزب الشيوعى السودانى (تموز/ يوليو ١٩٧١). وما رافقه وتلاه من نجاحات ملحوظة لليمين والثورة المضادة فى غير قطر عربى.

النشاط الاعلامى لماذا ؟

تكمن أهمية العمل الاعلامى فى إيصاله برنامج الجبهة وسياساتها للجماهير، وتحصينها ضد مؤامرات العدو، وتبصيرها بمصدر معاناتها؛ حتى تتحرك لاجتثاث هذا المصدر. فضلا عن أن العمل الاعلامى يعزز تلاحم القوى الوطنية والتقدمية، ويحشد الشعب فى النضال ضد المحتل.

فضلا عن المهام المباشرة لصحيفة الجبهة، فان توزيعها – فى حد ذاته – يوفر شبكة منظمين فضفاضة حول المنشأ؛ بل إنها – مع تطورها – تصبح هذه الشبكة أداة تنظيم، أيضا.

بداية، اعتمدنا على الدعاة والمحرضين، إلى جانب الصحيفة الاسبوعية، والمنشورات، والكراسات التثقيفية الشهرية، فضلا عن التنظيمات الشعبية؛ وإن ظل الحديث المباشر، والاتصال الشخصي الأقوى والأنجع بين سائر و سائل الاعلام الثورى.

لقد تم التمييز بين وظيفتي الدعوة والتحريض. فالمحرض يقدم فكرة واحدة، أو قبضة صغيرة من الأفكار، لقطاع عريض من الناس؛ فيما يطرح الداعية أفكارا كثيرة لمجموعة محدودة من الناس. الأول يتعامل مع الجماهير، بينما الداعية يحصر عمله مع أعضاء التنظيم؛ المحرض يهتم بتعبئة الجماهير حول القضايا الراهنة، فيما الداعية يهتم بتوعية وتربية أعضاء التنظيم، وتأهيلهم للعمل وسط الجماهير.

لكن برغم الفصل الشكلى بين التحريض والدعوة، الا أنهما يشكلان، معا، مفتاح النشاط الاعلامي لآى تنظيم.

لقد أحست الجماهير الغزية بالقهر المزدوج - الوطنى والطبقى - بسبب الاحتلال الإسرائيلى، الجارح للكرامة الوطنية، كما أن أساليبه الارهابية القمعية ولدت سخطا لدى الشعب، مما حمل المؤسسة التنظيمية مسئولية تخليص هذا السخط من تلقائيته؛ مع العمل على تنظيمه، وتوظيفه في مجابهة الاحتلال. فتخليص الجماهير من تلقائيتها يقطع الطريق على الهبات العشوائية، التى قد تودى إلى إجهاض احتمالات العمل الثورى المنظم.

إن الدعوة والتحريض يؤديان إلى تنظيم الجماهير، وتحريكها، وتوظيف حقدها على العدو الوطنى، وتعزيز يقينها بقدرات الجبهة. الأمر الذى يضع حدا لسلبية هذه الجماهير، ويوفر للنضال ضمانات استمراره. وهذا كله يتأسس على العمل الاعلامى، قبل غيره. فالكفاح الذى تخوضه الحلقة الضيقة من مناضلى الجبهة، والتضحيات الجسام التى يقدمها هؤلاء المناضلون، خلال هذا الكفاح، كلها تؤكد للجماهير بأن مقاومة المحتل ليست واجبة فحسب، بل إن الانتصار على المحتل ممكن، أيضا.

<u>من تثقيف الأعضاء إلى تعبئة الجماهير</u>

بعد تثقيف أعضاء الجبهة، كان يتم الاتصال بالجماهير، عبر اللجان الوطنية للجبهة. ولعل فى هذا ما يبرر ايلاء كل هذا الاهتمام للعمل الاعلامى. إذ أن من شأن هذا العمل اجتذاب المزيد من الجماهير، وتنظيمها، وحشدها ضد العدو؛ وهى مسلحة بالخط السياسى السليم.

لاتهدف الدعاوة والتحريض إلى التلقين، لنشر "إيمان العوام" بين الجماهير بالجبهة وخطها السياسى، بل هدفهما دفع الجماهير للتحرك ضد المحتل. ويعود اسهام الجماهير فى العمل الاعلامى إلى إحساس الجماهير بأن هذا العمل يخدم مصالحها.

لذا كان على الدعاة والمحرضين أن يتركوا الجماهير تجترح أساليبها الدعاوية، والتحريضية الخاصة، خلال تحركها.

ولطالما اجترحت هذه الجماهير شعاراتها، وأساليبها، فى مواجهة العدو المحتل.

فى مجال الأساليب، فان الحقائق المجردة غير مجدية فى تغيير آراء الناس، الذين يتشككون فى ما يقرأون، أو يسمعون. ويتحلى هذا التشكك عند الشعب الفلسطينى بشكل أخص، بعد كل الاحباطات المتوالية التى تعرض لها، على مدى تاريخه الحديث والمعاصر. مما يحتم القيام بتحريض ذكى، ومخاطبة الطبقات والفئات الاجتماعية، بعد دراسة مشاكل كل منها، دراسة متأنية مستفيضة. بما يجعل المبادرة، دائما، فى يد الجبهة، ودعاتها، ومحرضيها الأمر الذى لايضمنه الا الصدق، والبساطة، والتواضع.

واجبات الدعاة والمحرضين

بعد الوسائل، كان لابد من الاهتمام بالانتقاء الأفرادى للدعاة والمحرضين، بحيث يتسم كادرهم بالوعى السياسى؛ والماضى النضالى، والاستعداد للتضحية؛ والشعبية؛ والجماهيرية؛ والقدرة على التأثير فى الناس والنزاهة.

ما أن يتم تحديد الوسائل، واختيار الدعاة والمحرضين، حتى يجئ دور تحديد واجبات هؤلاء الدعاة والمحرضين، والمحصورة فى توجيه الجماهير نحو الكفاح؛ وبث اليقين بالنصر فى نفوس الجماهير، واقناعها بأن مصلحتها ومصلحة الثورة واحدة،

(هذا الاقناع يتم بالأفعال، قبل الأقوال)؛ وتعليم الناس شتى أساليب الكفاح.

تربية الكادر الاعلامي _

في مجال تدريب الدعاة والمحرضين، لابد من تجنب التجريبية والتلفيقية، مع الحرص على عدم القذف بالدعاة والمحرضين وسط الجماهير، بلا تدريب مسبق، أو دون مدهم بالتعليمات والمعلومات الضرورية باستمرار، أولا بأول.
يتطلب التدريب دورة تثقيف سياسي، ودورة اخرى في أساليب الدعوة والتحريض في الدورة الأولى يتلقى الدعاة والمحرضون محاضرات مكثفة في الفلسفة، والاقتصاد السياسي؛ وتطور الحركة الوطنية الفلسطينية؛ واسس التنظيم الحزبي، وفن العمل الجماهيري؛ والصهيونية وكيانها؛ وعلم الحرب. وفي الدورة الثانية يطلعون على الفن الصحفي، وعلم النفس الاجتماعي.

مع نزول الدعاة والمحرضين إلى الجماهير، يتم مدهم بالتوجيهات والمعلومات عن الأحداث الجارية، بشكل مبكر، قدر الإمكان.

المتابعة والتطوير _

دأبت لجان الاعلام في الجبهة – ابتداء من اللجنة المركزية إلى اللجان المحلية – على عقد اجتماعات دورية شهرية. وفي هذه

الاجتماعات كان يجرى استعراض النشاط الاعلامى، خلال الشهر المنصرم، ورصد الأخطاء، والسلبيات؛ لمعالجتها، وتلافيها.

من الاعلام إلى الكفاح المسلح

مجرد صدور صحيفة "المقاومة"، وغيرها من المنشورات والكراسات التثقيفية، كان الدليل على عجز أجهزة الاحتلال الإسرائيلى عن الوصول إلى مصدرى هذه المطبوعات السرية، أو إلى أمكنة أجهزتها الطباعية. وأفاد هذا الأمر، وحده، كثيرا فى اقتناع الجماهير، ذاتيا وببساطة، آمدى بطلان اسطورية القوات الإسرائيلية، وأجهزتها.

كما لعبت معركة رأس العش الظافرة، التى خاضتها القوات المصرية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلى، فى المنطقة الشمالية من قناة السويس (١٩٦٧/٧/١) دورا كبيرا فى وقف تدهور معنويات شعب قطاع غزة، فيما أدى إغراق البحرية المصرية للسفينة الحربية الإسرائيلية "إيلات" (١٩٦٧/١٠/٢١) إلى رفع هذه المعنويات.

من جهة ثالثة، مارست قوات الاحتلال الإسرائيلى جملة من الاجراءات التعسفية والقمعية الشرسة، فردية وجماعية، خلقت ردود فعل عنيفة لدى أهل القطاع؛ تمثلت فى تلك المقاومة المجيدة التى اتسم بها قطاع غزة، حتى أوائل السبعينيات.ناهيك عن الزيت الذى

صبته البطالة شبه الشاملة على نار سخط أهالى القطاع ضد المحتلين الإسرائيليين.

هكذا انتقض شعب القطاع، بعد أن أحبطته هزيمة حرب ١٩٦٧، أيما إحباط. وجاء نهوضه هذا فى ما يشبه المعجزة، وإن لم يكن فى الأمر أى معجزة.

حين جاء يوم تشرين الثانى / نوفمبر ١٩٦٧، أضرب قطاع غزة، من أقصاه إلى أقصاه، وبسائر طبقاته وفئاته الاجتماعية؛ احتجاجا على "وعد بلفور"، حيث حلت ذكراه الخمسون، فى ذلك اليوم. وقد جاء الإضراب استجابة لدعوة وجهتها "الجبهة الوطنية المتحدة"، بعد خطة محكمة رسمتها قيادة الجبهة، ضمنت بها هذا الاجماع، من جهة، ووفرت صمامات أمان، من جهة ثانية، ردت بها عن جماهير القطاع أساليب القمع الجماعية الانتقامية، التى دأبت على ممارستها سلطات الاحتلال الإسرائيلى، فى مثل هذه الاضرابات.

أما الخطة فقد بدأت بحسم موضوع الدعوة للاضراب السياسى العام. وتطلب ذلك الحسم ثلاثة اجتماعات متوالية للجنة المركزية للحزب الشيوعى، على مدى عشرة أيام، شهدت صراعا حادا بين اتجاهين متعارضين، حيث طالبت الأكثرية بضرورة غض الطرف عن موضوع الدعوة للإضراب؛ أولا بسبب عدم استعداد الجماهير، وثانيا لأن "العدو مستفز"، فيما أصر ثانى هذين الاتجاهين (الثلث) على ضرورة الدعوة إلى الاضراب، مؤكدا بأن جماهير القطاع قد تخلصت - إلى حد بعيد - من حالة الاحباط،

التـى تمكنـت منهـا بفعـل هزيمـة حزيـران / يونيـو ١٩٦٧. أمــا أن "العدو مستفز"، فهـذا دليـل آخـر علـى الوضـع الجمـاهيرى المواتـى لإضـراب، كمـا أن تنفيـذ الاضـراب لـن يزيـد الذئـب الإسـرائيلى استفزازا على استفزازه، الذى وصل مداه؛ "فالذئب مستفز بطبعه" ـ! وبعد نقاش طالما احتدم، حسم التصويت - فـى الاجتمـاع الثـالث - الأمر لصالح الدعوة للإضراب؛ بالاجماع، مع تحفظ عضـو واحـد، وتحميله "المسئولية التاريخية" للمغامرين دعاة الاضراب!

جـاء الانتقـال إلـى الخطـوة التاليـة، حيـث تـم تقسـيم شـعب القطـاع إلـى عـدة فئـات اجتماعيـة: الموظفيـن؛ الطلبـة؛ المدرسـين؛ السـائقين؛ والتجـار. ومنـذ البدايـة، اسـتبعدنا الفئتيـــن الأوليـــن؛ فـالموظفون (*) لـن يضربـوا، تحـت أى ظـرف، بسـبب رخـاوتهم الثورية، وتعلقهم التليـد بخزينـة الدولـة، وحرصهـم علـى العـلاوات والترقيات، وفزعهم مـن شـبح التخفيـض فـى الدرجـة الوظيفيـة، أو الخصم من الراتب، ناهيك عن الطرد من الوظيفة. أمـا فئـة الطلبـة، فقد استبعدنا بحث أمرها، لسبب يتعارض تماما مع أمـر الموظفيـن، إذ كنـا متـاكدين مـن أن الطلبـة سيضربون عنـد أول اشـارة؛ أمـا المدرسون فموقفهم مـن الإضـراب وثيـق الارتبـاط بموقـف الطلبـة، ولاحق له. وبقيت الفئتـان الأخيرتـان بحاجـة إلـى "اسـتطلاع رأى".

(*) لعل من الطريف أن سبعة من تسعة، هم مجموع أعضاء اللجنة المركزيـة للحزب، آنذاك، كانوا من الموظفين!

وخرجنا من آخر اجتماع، لننطلق إلى "عينات" من السائقين والتجار، كل إلى من يعرفه من هؤلاء أو أولئك.

طلب التجار مبررا قويا يجنبهم الغرامات المالية التى تفرضها سلطات الاحتلال الاسرائيلى على كل من يغلق حانوته من التجار، فى غير أيام الأعياد الرسمية.

فيما قال السائقون إنهم سيتجاوبون مع حركة الشارع، ولن يشذوا عنها؛ فاذا خلا الشارع توقفوا عن العمل، أما اذا فشل الإضراب، فإنهم يعجزون عن الانفراد به.

طبعنا ١٥,٠٠٠ نسخة من المنشور الذى يدعو الجماهير إلى الإضراب. وهذا رقم عال، غير مسبوق فى قطاع غزة، ذى الثلاثمئة ألف نسمة، حينذاك. مما جعل المنشور يدخل كل بيت، مساء اليوم السابق على الاضراب.

فى صباح يوم الاضراب، القيت ثلاث قنابل صوتية، عند بداية ومنتصف ونهاية السوق الرئيسية بمدينة غزة، فى شارع عمر المختار، فتدافع الجنود الإسرائيليون، فارين بجلودهم، فى فزع ظاهر؛ فيما أغلق التجار أبواب حوانيتهم، وانطلقوا، مطمئنين، إلى منازلهم.

بعد لحظات، كنت تسمع رنين الإبرة، فى أى مكان تلقيها من قطاع غزة، بعد أن خلت الشوارع من المارة والسيارات، وأغلقت الحوانيت أبوابها، وبدت غزة كأنها مدينة أشباح.

شكل هذا الإضراب نهاية مرحلة وبداية اخرى فى كفاح شعب القطاع ضد الاحتلال الإسرائيلى واذا كانت الدعاوة والتحريض تكفيان لإنهاء حالة الاحباط الجماهيرى، فان اسلوبا كفاحيا أرقى لابد أن يتقدم، بما يستجيب لاستعداد الناس للكفاح والتضحية، الأمر الذى تأكد من خلال النجاح الكامل لهذا الاضراب السياسى الشامل.

قراءة مضمون _

لطالما كتبت موضوعات "المقاومة" من وحى المستجدات الفلسطينية عموما، وفى قطاع غزة تحت الاحتلال على وجه الخصوص؛ أو لتحليل الأحداث الجارية؛ أو التعليق عليها.

لقد دأبت هذه الصحيفة على التحذير من "مؤامرات التصفية والإبادة"، التى ينسجها الأعداء الصهاينة وأسيادهم فى البيت الأبيض. وتوعدت هذه المؤامرات بالاسقاط (١)؛ بعد أن أطلت رؤوس الثورة المضادة من جحورها، داعية لاقامة كيان كرتونى فلسطينى تحت خراب الاحتلال الصهيونى، الذى لوح بترحيل جماعى للفلسطينيين من قطاع غزة إلى مخيمات أريحا.

فى أعداد متناثرة، حرصت "المقاومة" على الدعوة إلى "تعبئة كل قوى شعبنا" (٢)؛ مع التأكيد على أنه "لن ترتفع إلا راية المقاومة" (٣) كما بشرت بأن "الحل العسكرى فى طريق الحتمية" (٤). واتفقت مع الزعيم العربى الكبير، جمال عبد الناصر، فى أننا

قد دخلنا "مرحلة نضالية جديدة في مواجهة العدوان" (٥)، في أعقاب إغراق البحرية المصرية للمدمرة الإسرائيلية ايلات (٢٦/١٠/٦٧). وإن ردت "المقاومة" على الذين فقدوا صبرهم لتأخر "الجبهة الوطنية المتحدة" في الأخذ باسلوب الكفاح المسلح. فرأت بأن مقاومة الاحتلال تتخذ أشكالا نضالية متنوعة، وتتصعد المقاومة من مرحلة لاخرى، بشكل مدروس غير مرتجل، وفقا لظروف كل مرحلة، ومتطلباتها، دون مزايدة أو ارتجال. ونوهت الصحيفة بأن العمل السياسي ظل، طيلة الأشهر الستة الماضية من الاحتلال، حجر الزاوية، من أجل تحقيق الوحدة الوطنية؛ وانتشال الجماهير من وهدة اليأس؛ وفضح المشاريع الصهيونية الرامية إلى تصفية ونسف قضيتنا الوطنية؛ ومقاومة ارهاب المحتل؛ والتصدي للحرب النفسية التي يشنها. ولأن كاتب المقال كان مطلا على قرار قيادة الجبهة بالأخذ بالكفاح المسلح، بعد أن تخلصت الجماهير من قنوطها، إلى حد بعيد، ودربت الجبهة العناصر الضرورية لبدء الكفاح المسلح، وجهزت المخابئ ومخازن الأسلحة لذلك؛ نراه يبشر بوقوف شعبنا في القطاع "على أعتاب مرحلة نضالية جديدة، تتطلب أشكالا نضالية أعلى". وفي هذا اشارة واضحة لأخذ الجبهة بالكفاح المسلح. وحتى لا يفهم من تبني الجبهة الكفاح المسلح، بأنه يعني تخليها عن بقية أشكال الكفاح، نرى المقال يؤكد بأنه مع ذلك تظل للنضال السياسي أهميته، وضرورته، ليشارك مع الأشكال النضالية الاخرى... (فهو) بوصلة العمل الوطني... إذيقوم بتوضيح

الأهداف، ومساندة الأشكال النضالية الاخرى، والتخطيط لها، واستقطاب الجماهير، واعداد المناضلين فى كافة المجالات"(٦).

شددت "المقاومة" على دعوتها "لنحاصر عملاء العدو، ونهزم سياسة التطويق" (٧). واعتبرت الأزمة الاقتصادية التى أخذت بخناق القطاع "إحدى ثمرات الاحتلال الصهيونى الأسود، فقد أصاب الشلل والدمار حياتنا الاقتصادية... وما نتج عن ذلك من انقطاع للموارد الخارجية، التى كانت تساعد على إنعاش الحالة الاقتصادية، وبخاصة عائدات الحمضيات، والتجارة مع الجمهورية العربية المتحدة (مصر)، وأموال المغتربين من أبنائنا فى الخارج. كما اقترن الاحتلال بنشر البطالة بين العمال والحرفيين، وتشريد الآلاف من الموظفين والعمال الحكوميين. ومما زاد الطين بلة، استنزاف سلطات الاحتلال والشركات الصهيونية الاحتكارية لمدخرات السكان، عن طريق الضرائب المباشرة وغير المباشرة، والاستيلاء على الأموال المودعة فى المصارف، وتجميد أموال الغائبين، وعن طريق اغراق أسواق القطاع بالبضائع الكمالية، التى تنتجها الشركات الصهيونية... (كما) أن المواد التموينية والضرورية، التى كانت مخزنة فى القطاع، نفذت... بالاضافة إلى تعطيل تداول كميات كبيرة فى أوراق النقد المصرى، بحجة قدمها".

وحصر المقال مظاهر الأزمة الاقتصادية فى ثلاثة :

١- تناقص السيولة النقدية؛

٢- انخفاض القدرة الشرائية؛

٣- الارتفاع المطرد فى الأسعار.

وقدرت "المقاومة" بأن العدو يوظف هذه الأزمة "كسبيل لفرض مخططاته العدوانية التوسعية، ولإلهاء الجماهير فى التفتيش عن لقمة العيش؛ فى حين يتخذها بعض العملاء فرصة للكسب الحرام". واكدت صحيفة الجبهة بأن" هذه الأزمة لايمكن أن تزول الإ بكنس المحتلين". وطالبت الجماهير "بان تواجه الأزمة بما عرف عنها من صمود، وقدرة فذة على التجلد، وتحمل الشدائد... كما أن الرحيل عن أرض الوطن لا يزيد المشاكل الاقتصادية الا تعقيدا". وقدمت "المقاومة" جملة من الحلول النضالية، مثل اعلان التقشف؛ ومقاطعة البضائع الكمالية؛ وحث التجار على طرح بضائعهم، وعدم رفع الأسعار؛ مع إبقاء العملة المصرية متداولة (٨).

لأن الجبهة خشيت من اتساع نطاق هجرة أهالى قطاع غزة إلى شرقى الأردن، تحت الضغوط الصهيونية المتزايدة، لذا نجدها تعرب فى مقال رئيس من "المقاومة"، عن فزعها مما أعلنته وكالات الأنباء من أن عدد النازحين من اهالى القطاع بلغ أكثر من عشرين ألفا. وحذرت الصحيفة من أن مثل هذه الهجرة الواسعة تسهل على الاحتلال ابتلاع القطاع، والحاقه ببقية فلسطين المغتصبة. لذا وصفت "المقاومة" الرحيل عن أرض الوطن بالجريمة التى لايمكن تبريرها، وحرمتها، بل اعتبرتها "خيانة وطنية". ورأت بأن "الرحيل إلى المجهول لايمكن أن يحل الأزمة الاقتصادية للنازحين". وطالبت بتعميم شعار "البقاء على أرض الوطن"، بكل الوسائل الممكنة. وناشدت كل القوى والمنظمات وأحرار العالم التدخل "لإنقاذ حياة المعتقلين من مناضلى شعبنا"(٩).

واحتلت الوحدة الوطنية جانبا كبيرا من اهتمام "المقاومة"، فدعت إلى استكمالها، باعتبارها "قاعدة الانطلاق" (١٠). وحثت، غير مرة، على استكمالها، وناشدت "حركة القوميين العرب" أن تنبذ "موقفها الانعزالي، والانضمام إلى صفوف الجبهة"؛ لأن "القوى الوطنية لايمكن أن تختلف حول قضايا مقاومة الاحتلال" (١١). ولاحقا، رأت "المقاومة" بأن استكمال الوحدة الوطنية أمر ملح، ليثبت شعبنا الفلسطيني "وجوده، وحقه في الحياة، وليؤكد دوره الطليعي في تحمل مسئولية حل قضيته الوطنية... حجر الزاوية في الثورة العربية المعاصرة" (١٢). كما نددت الصحيفة بمن يهاجمون "الادارة العربية الشقيقة" (١٣).

فيما ألقت الضوء على السر في التهديدات التي أخذ يلوح بها قادة العدو الصهيوني، من أنهم سينقلون الحرب إلى الضفة الشرقية للأردن. وأعادت "المقاومة" هذه التهديدات إلى "هزيمة قوات العدو في (الكرامة)؛ وتصاعد المقاومة الشعبية ضده؛ وتفاقم أزمته الداخلية؛ والقدرة المتزايدة لدور الرأي العام العالمي في فضح العدوان، وإدانته، ومحاصرته؛ وصمود الجبهات الداخلية العربية، والتغييرات الأخيرة في الأردن، بقيام الجبهة الوطنية فيه" (١٤).

لم تحبس "المقاومة" نفسها في قطاع غزة، وحده، بل رنت ببصرها إلى بقية أرجاء فلسطين، وتتبعت، بالأخبار التي دأبت على نشرها – نشاط دعاة تصفية قضيتنا الوطنية. كما نشرت خبرا عن صدور "الميثاق الوطني المرحلي"، عن القوى الوطنية في الضفة

الغربية(*)، التى نددت فيه "بمؤامرة إقامة الكيان الفلسطينى الهزيل تحت حراب الاحتلال والعدوان، لاتخاذ هذا الكيان وسيلة لإخراج القضية الوطنية الفلسطينية عن محيطها العربى، وعزل الشعب العربى فى المناطق المحتلة عن ركب الشعوب العربية، وترك قضيته فى أيدى نفر من الخونة والعملاء". كما أكد الميثاق تصميم القوى الوطنية على "وحدة الضفتين - الشرقية والغربية للأردن - وعلى عروبة مدينة القدس" (١٥).

فيما انصتت "المقاومة" إلى نبض الصمود فى دول الجوار عموما، وفى مصر خصوصا؛ فوجدناها تعلق على خطاب الزعيم الراحل، جمال عبد الناصر، أمام مجلس الأمة المصرى، فى ١٩٦٨/١/١٨، مركزة على محاولته إقناع "العالم بأن إسرائيل دولة معتدية، وأداة استعمارية"؛ وأنه "لم يكن من الصواب مواجهة المعركة بالغضب، وحده"؛ و "أن التحرك، الآن، فى المجال السياسى لا يعنى نبذ الطريق العسكرى... [و] أن ما أخذ بالقوة لابد أن يسترد بالقوة". وعن قرار مجلس الأمن الدولى، رقم ٢٤٢، قال عبد الناصر." إنه كان حلا وسطا، وغير كاف لايجاد مخرج سليم... وبين أن قيمة أى قرار إنما تتحدد بقدراتنا العسكرية... وأكد الرئيس تمسك المتحدة (مصر) بالانسحاب الكامل من كل شبر من الأراضى العربية المحتلة... كما أكد التزام الجمهورية (المصرية) بقرارات

(*) ضمت هذه القوى، حينذاك، الحزب الشيوعى، وحزب البعث، وبعض الشخصيات الوطنية المستقلة.

مؤتمر الخرطوم، التى تنص على أنه لا صلح، ولاتفاوض، ولا اعتراف باسرائيل، ولاتصرف بالقضية الفلسطينية... وطالب بضرورة كسب المعركة النفسية ضد العدو، إذا ما أردنا كسب المعركة العسكرية" (١٦). وفى العدد نفسه، أوردت "المقاومة" مقتطفات من هذا الخطاب.

حين تقدم الرئيس عبد الناصر إلى الشعب المصرى ببرنامج ٣٠ مارس، مساء ١٩٦٨/٣/٣٠، خصصت "المقاومة" عددها الصادر فى اليوم التالى، لهذا البرنامج الثورى، ووصفته ب "البيان التاريخى الخطير... [و] برنامج العمل للمرحلة القادمة... [وأنه] أثبت مدى أصالة القيادة الثورية فى العربية المتحدة، وصلابتها... [حيث تم استيعاب] دروس النكبة... والاستجابة لنبض الجماهير الشعبية"(١٧).

وعن اسبوعية "المصور" القاهرية، لخصت "المقاومة" مقال المفكر التقدمى المصرى المعروف د. عبد العظيم أنيس، الذى حاول تفسير هزيمة ١٩٦٧، رافضا اعادتها إلى عدم تمسكنا بالخلق القويم، أو لأننا لم نتقدم فى طريق العلم والتكنولوجيا. مؤكدا بأن النصر العسكرى ماكان ليتحقق للعدو "عندما نواجهه بحسم ووضوح فكرى، على المستوى الجماهيرى، ودقة وفعالية فى التنظيم الشعبى"؛ ضاربا المثل بفيتنام، مشيرا إلى "أن موقفنا الفكرى من أمريكا قد ظل لسنوات غير واضح، جماهيريا؛ ولم يعبأ الشعب على أساسه، إلا أخيرا... وظل بعض الكتاب والصحفيين العرب المخلصين يراودهم الأمل فى أن تتصرف الولايات المتحدة بعقل

وحكمة؛ ثم اكتشفوا بعد ذلك، أنها الرأس المفكر والمدبر للعدوان". ويصل د. أنيس إلى "أن تحديد استراتيجيتنا يقتضى، فى المقام الأول، تحديدا فكريا واضحا لأعدائنا وأصدقائنا فى المجال الدولى، تماما كما نفعل فى المجال الداخلى. وما يقال عن تردد موقفنا الفكرى من الولايات المتحدة، يمكن أن يقال، أيضا، عن فكرة (الطريق الثالث) فى البناء الاشتراكى الداخلى؛ إذ أن فكرة التوازن الدولى، والطريق الداخلى الثالث مرتبطان أوثق الارتباط". وانتهى إلى أن "اولى خطوات الانقاذ، هو التغيير العميق داخل الاتحاد الاشتراكى نفسه، حتى نكون مطمئنين، تماما، فى المعركة الطويلة المريرة، المقبلة"(١٨).

ومن مقال كاتب يسارى مصرى آخر، كان نشره فى يومية "الجمهورية" القاهرية، صيف سنة ١٩٦٤ بعنوان : "لو خلت أميركا من اليهود، لما تغير موقفها من إسرائيل"، اقتطفت "المقاومة" ما يؤكد مصلحة الاحتكارات الأميريكية فى بقاء اسرائيل قوية فى المنطقة؛ مبددا الأباطيل حول التأثير الحاسم للصوت اليهودى فى التعاطف الأمريكى مع الصهيونية وكيانها (١٩).

من بعيد، يسقط المناضل الأممى الشهير، أرنستوتشى جيفارا، صريع رصاص الامبريالية الأمريكية، فى أدغال بوليفيا؛ فتنعاه "المقاومة"، فى عمود كامل من صفحتها الثانية. يحمل عنوان "جيفارا بطل المقاومة" (٢٠).

لا تكتفى هذه الصحيفة، على صغر حجمها، بالمقال والتعليق، بل تعمد إلى نشر "أخبار المقاومة" فى عمود، أو عمودين،

وأحيانا ثلاثة أعمدة، حسب المتاح من الأخبار. لقد اهتمت الصحيفة بنشر الجديد من الأخبار، التى يرسلها أعضاء الجبهة المنتشرين فى أرجاء القطاع؛ فهم مندوبين للصحيفة، يغطون لها الأخبار، بلا مقابل، وفى حماسة شديدة. وتكتس هذه الخبار، اليوم، قيمة تاريخية ذات شأن، حيث غدت يوميات لشعب اجترح البطولات فى وجه احتلال باغ.

تستعين "المقاومة" بالشعر الثورى فى تحريض الشعب، فتنشر رائعة توفيق زياد "هنا باقون" (٢١)؛ وتتبعها بقصيدة اخرى للشاعر نفسه، بعنوان : "ثلج على المناطق المحتلة"(٢٢).

المحصلة _

لم تكتف الجبهة بصحيفتها الاسبوعية، بل لطالما أصدرت المنشورات السرية، تدعو فيها الشعب إلى التحرك السريع فى أمر ما، أو تطلعه على أمر لايحتمل التأجيل، أو موضوع ترغب فى تعميم مضمونه على الشعب.

فضلا عن الكراسات الصغيرة التى حرصت قيادة الجبهة على نشرها، شهريا، ابتداء من مطلع تشرين الأول / أكتوبر ١٩٦٧، وكان الكراس الأول بعنوان : "حرب الشعب وجيش الشعب"، الذى تضمن تلخيصا وافيا لكتاب معجزة حرب الشعب الفيتنامى، الجنرال جياب، حمل العنوان نفسه؛ اضافة إلى مقتطفات من كتابات الزعيم الشيوعى الصينى الشهير، ماوتسى تونج، فى

المجال نفسه. وفى مطلع الشهر التالى، صدر كراس "لمحة عن الحركة الصهيونية".

فى عمرها القصير، نجحت "المقاومة" فى اعلام الشعب وتثقيفه، وصولا إلى توعيته، وتعبئته، والاسهام بنصيب وافر فى تنظيمه. ففى ضربة نجح المحتل فى توجيهها للحزب والجبهة، فى آن معا، ربيع ١٩٦٩، وضع العدو يده على مطابع "المقاومة"، مما أدى إلى توقفها، لبضعة أسابيع، قبل أن تعاود الصدور، معتمدة على هيئة تحرير جديدة، ومطابع احتياطية، شغلتها قيادة الحرب، بعد أن ملأت المواقع التى شغرت، بفعل الضربة، بعد ثمانية عشر شهرا من عملها المتواصل؛ حيث تأكد بأن هذه الأشهر لم تكن بلا جدوى؛ فقد حققت هذه الصحيفة، خلالها، جملة من الأهداف : أهمها :

* إضاءة السبيل لمواصلة النضال ضد الاحتلال؛ حيث أكدت بأن مقاومة المحتل ليست واجبة فحسب، بل ممكنة، أيضا؛
* غرس اليقين بالنصر فى نفوس أبناء الشعب؛
* تعميم الشعارات الرئيسية للجبهة؛
* تكريس اسم "الجبهة الوطنية" فى قطاع غزة وخارجه؛
* وتأهيل مزيد من الأعضاء لتحرير هذه الصحيفة السرية.

قبل أن يتوارى عام ١٩٦٧، وجدنا أنفسنا على عتبة حقبة ثورية جديدة، تقتضى تصعيد الكفاح، واستحداث أساليب كفاحية.

بيد أن تقحم الحقبة الجديدة، وتبنى أساليب الكفاح الأمضى كان قدرنا، فانسحابنا لم يكن يعنى إلاترك اللحظة الثورية تفلت من بين أيدينا، مما يخرجنا من التاريخ، مرة وإلى الأبد.

هوامش الفصل الثالث

١- انظر فى هذا الصدد : اسقطوا مؤامرات التصفية والإبادة، المقاومة، العدد الأول ١٩٦٧/٨/١؛ فلنسقط مخططات التصفية والتشريد، المقاومة، العدد الثانى ١٩٦٧/٨/١٥؛لن تمر مخططات التهويد المقاومة، العدد الرابع، ١٩٦٧/٩/٨؛ فلنناضل دون هوادة ضد مشاريع التوطين، المقاومة، العدد الخامس، ١٩٦٧/٩/١٨؛ المؤامرة فى دور التنفيذ، المقاومة، العدد التاسع ١٩٦٧/١٠/٢٧؛ ماذا وراء هذه المشاريع ؟!، المقاومة، العدد العاشر، ١٩٦٧/١١/١٠؛ العدو يركز على جبهتنا الداخلية، المقاومة، العدد ١٤، ١٩٦٧/١٢/٨.

٢- المقاومة، العدد الثانى، ١٩٦٧/٨/١٥.

٣- المقاومة، العدد السادس، ١٩٦٧/٩/٢٩.

٤- المقاومة، العدد الحادى عشر، ١٩٦٧/١١/١٧.

٥- المقاومة، العدد الثالث عشر ١٩٦٧/١٢/٣.

٦- النضال السياسى لماذا ؟، المقاومة، العدد الخامس عشر، ١٥/١٢/ ١٩٦٧.

٧- المقاومة، العدد الثالث والعشرون، ١٩٦٨/٤/٧.

٨- فى مواجهة الأزمة الاقتصادية، المقاومة، العدد الخامس عشر، ١٩٦٧/١٢/١٥.

٩- الهجرة خيانة وطنية، العدد نفسه.

١٠- المقاومة، العدد الرابع والعشرون، ١٩٦٨/٤/١٤.

١١- دعوة !، المقاومة، العدد الحادى عشر ١٩٦٧/١١/١٧.

١٢- نحو مدى ثورى أرحب، المقاومة، العدد ٢٦، الأسبوع الأول من مايو/ أيار ١٩٦٨.

١٣- لمصلحة من هذه الحملة القذرة ؟، المقاومة، العدد الثامن، ١٩٦٧/١٠/٢٢.

١٤- ماذا وراء التهديدات الصهيونية الجديدة، المقاومة، العدد ٢٥، ١٩٦٨/٤/٢٨.
١٥- المقاومة، العدد الثامن، ١٩٦٧/١٠/٢٢.
١٦المناضل عبد الناصر يحدد معالم الطريق، المقاومة، العدد الثاني عشر، ١٩٦٧/١١/٢٤.
١٧- المقاومة، العدد الثاني والعشرون، ١٩٦٨/٣/٣١.
١٨-د. عبد العظيم أنيس، الفكر السياسي والتنظيم السياسي، المقاومة، العدد التاسع، ١٩٦٧/١٠/٢٧.
١٩- المقاومة، العدد العاشر، ١٩٦٧/١١/١٠.
٢٠- المقاومة، العدد الثامن، ١٩٦٧/١٠/٢٢.
٢١- المقاومة، العدد الثالث عشر، ١٩٦٧/١٢/٣.
٢٢- المقاومة، العدد ٢٢، ١٩٦٧/٣/٣.

الفصل الرابع

استنتاجات عامة

الفصل الرابع
استنتاجات عامة

تضافرت جملة من العوامل الموضوعية مع أخرى ذاتية، لتخرج هذه التجربة غير المسبوقة فى فلسطين. واذا كنا أشبعنا العوامل الذاتية بحثا، في ما سبق؛ فألقينا حزمة من الأضواء على القدرات، والمهارات، والخبرات التى تمتعت بها الجبهة، فلعل من المؤكد أن هذه العوامل كان لها أن تتجلى، لولا توفر ظروف موضوعية مواتية؛ مما جعل قطاع غزة يتمتع بمزية النهوض الثورى، فيما بين سنتى ١٩٦٧، ١٩٧١، بشكل يفوق غيره من المناطق المحتلة. فقد رأينا الاحتلال الإسرائيلى يرفع معدلات القمع هنا عنها فى اى منطقة أخرى يحتلها، مما وفر رد فعل شعبيا ملحوظا؛ كما أن الاحتلال سرح نسبة كبيرة من موظفى الحكومة؛ وأحرق الكثير من سفن صيد يمتلكها أبناء القطاع؛ وتحت نيره تفشت البطالة بين العمال، وتمكن الكساد من التجارة، مما وسع دائرة الساخطين. واذا ما اضيف إلى هذا وذاك، التدريب العسكرى الذى عمم فى القطاع فى السنوات القليلة السابقة على الاحتلال؛ وبقاء الأسلحة والمتفجرات والذخائر، خلف القوات المصرية والفلسطينية المنسحبة، مع وجود تنظيمات وطنية غير مضروبة مقابل إقدام حكومة الأردن على ضرب مثيلاتها فى الضفتين، ربيع ١٩٦٦؛ فضلا عن استعداد جماهير القطاع العالي للتضحية من أجل ان تعود الادارة المصرية إلى القطاع، وليس من أجل عودة نظام

استبدادى، يهون أمامـه أمر الاحتلال. ناهيك عما سببه الاحتلال الإسرائيلى، فى حد ذاته، من نزف فى الكرامة الوطنية.

لعل من فضول القول بأن هذه التجربة الثرية لم تمض دون أن تخلف لنا الكثير من الدروس المستفادة، لعل فى مقدمتها :

فى التنظيم

* ثمة ضرورة لتوفير احتياط فى كل مجال؛ يمكنه الحلول، فورا، محل الأصيل الذى يضرب؛ وإلا تسبب ضرب الأصيل فى انقطاع العمل، أو خلخلته.
* منذ البداية، تقدمت باقتراح يقضى بإلغاء لجان المناطق، والاكتفاء باللجان المحلية؛ على أن يترأس كل منها عضو مركزى. وقد اقر هذا الاقتراح، وعمل به. الأمر الذى حمى التنظيمات الحزبية والجبهوية القائمة، إلى مدى بعيد. لكن مغادرتى قطاع غزة، ربيع ١٩٦٨، أعطت الفرصة لأحد عبيد الماضى – الذى لم يلتقط الحكمة من تفتيت المناطق إلى محليات – كى يعيد العمل بنظام المنطقة الواحدة لكل قطاع غزة، يتصل بها هو، ويترأسها، فى آن معا. وقد أدى وقوع أحد أعضاء قيادة هذه المنطقة فى أيدى أجهزة أمن الاحتلال إلى توجيه الضربة لكل تنظيمات الحزب والجبهة، فى آن معا، وفى ساعات قليلة.

هذا فى حين كان الأخذ بالتنظيم العنقودى، وتفتيت المحليات، الصيغة الأشد أمنا.

* يقتضى العمل التنظيمى عموما، والسرى فيه على وجه الخصوص، متابعة دقيقة لكل ما يستجد من تحركات العدو، واجراءاته؛ بغية اجتراح اجراءات مضادة، والعمل على احباط اجراءاته. وقد تأكد نجاحنا هنا، عندما قررت قيادة الحزب، فى ١٩٦٨/١/١١، "تقصير خطوطنا"؛ بعد أن شدد العدو المحتل قبضته على القطاع، حيث عمدنا إلى تقليص حجم اللجنة المركزية من ٩ إلى ٥ أعضاء، فقط؛ كما تم الاستغناء عن التقارير الدورية المرفوعة إلى القيادة؛ وحلت اللقاءات الخاطفة محل الاجتماعات المطولة، نسبيا. وتصادف أنه، فى مساء اليوم نفسه، نجح العدو فى توجيه ضربة لكل التنظيمات فى القطاع (قوات التحرير الشعبية، وطلائع المقاومة الشعبية)، فيما أفلتت تنظيمات الحزب والجبهة من هذه الضربة؛ بسبب من تجنب قادة الحزب وكوادره المبيت فى منازلهم؛ مما جعل جهود وصول العدو المحتل إلى ثلاثة من قادة الحزب تذهب هباء؛ إذ توجه إلى منازلهم، فلم يجدهم (١/١٢؛ ١/١٨؛ ١٩٦٨/١/٢٥).
* لامفر من توقع أسوأ الاحتمالات، والتحوط فى جميع أنشطة الحزب والجبهة : فى التنظيم؛ والدعوة؛ والعمل الجماهيرى؛ والعمل العسكرى، على حد سواء. مما يتطلب توفير احتياطى لكل هذه المجالات، والنأى بهذه الاحتياطيات عن العمل، حرصا عليها، لحين الحاجة الماسة اليها، أى بعد ضرب التكوينات الاصلية. مع ضرورة توفير مفاتيح عمل لهذه الاحتياطيات حتى لاينقطع العمل، والاتصال، والطباعة... إلخ.

* انسحبت الحدود، إلى حد بعيد، وباطراد، بين الحزب والجبهة، سواء في المواقف السياسية، أو فى البنية التنظيمية، اى بين الخلايا الحزبية واللجان الوطنية؛ خصوصا فى الأداء؛ عدا عن تسرب نسبة غير قليلة من التراخى إلى بنية الحزب من جهة، وان كسب الحزب الكثير من أعضاء اللجان الوطنية، وبينهم مناضل معاديا للشيوعية، حتى وقوع حرب ١٩٦٧ ووصول الاحتلال.
* لم يطلع على موقع الجهاز الفنى (المطابع) الا المركزيان اللذان عهد اليهما العمل فيه، دونا عن بقية القيادات والكوادر، لكن الخطأ الجسيم الذى وقعت فيه قيادة الحزب فى هذا الصدد كان إيكال مهام تنظيمية لهذين المركزيين، فوق مهامهما الفنية والمالية؛ فأحدهما كان مسؤولا عن محليتين (مخيم الشاطئ؛ وجباليا)، فضلا عن زهاء أربعين عضوا من الجبهة، أغلبهم عبر اتصال فردى، فيما انتظمت النسبة الأقل فى لجان وطنية. مما جعل هذين المركزين عرضة للكشف السريع. ولا يبرر هذا الخطأ النقص الفادح فى الكوادر. فى حين كان يجب إناطة العمل الفنى (الطباعة) بعضوين صلبين، غير مكشوفين، أصلا مع اعفائهما من أى مهام اخرى للحزب أو للجبهة.

<u>فى الصحافة</u> _

* <u>الصحافة السرية علم وفن</u>. علم يجب الالمام به؛ وفن يتطلب التعامل معه بمرونة وتصرف. كما يستوجب العمل فى هذه

الصحافة التمكن من الفن الصحفى، وبكل ثقافة الكادر السياسى والكادر العسكرى، فى ان معا.

* التقيد بالصدق، فيما يعرض من أخبار، ومقالات، وتعليقات فى كل الصحف السرية؛ بما يعزز صدقية الجبهة.
* اعتماد لغة تخاطب مع الشعب، تستند إلى الاختصار، والبساطة، والوضوح الشديد، للوصول إلى كل الناس، والتأثير فيهم، ومد الجسور الدائمة معهم.
* الصحافة السرية تشفي غليل الشعب، وتروى تعطشه إلى المعلومات والتحليل السليم.
* لابد من الاهتمام باخراج الصحيفة، بشكل بسيط، متوازن.
* انتقاء الآت طباعة بسيطة، خفيفة الوزن، لايصدر عنها صوت عال أثناء عملها، يمكن أن يلفت الانتباه إلى مكان وجودها. كما لامفر من الاهتمام بملاءمة هذه الآلات للإخفاء عن أعين الفضوليين ورجال الأمن.
* مستوى الصحيفة السرية رهن بما وصلت إليه المؤسسة التنظيمية (الحزب أو الجبهة)، فى المجالات التنظيمية، والفكرية، والسياسية.
* كما أن نمو القدرات الاعلامية لأى تنظيم يعكس مدى نمو واتساع تأثير هذا التنظيم على الجماهير.

* فى الصحافة السرية ثمة ضرورة للعمل على خطين، فى آن معا؛ أولهما عميق، يغطى بكراسات تثقيفية، والثانى بسيط، يتصدى لتحليل الأحداث الجارية، والتحريض.
* التوعية بدون تعبئة تخلق رجالا ثرثارين، فيما توفر التعبئة بدون توعية أحجار شطرنج.
* كل عضو حزبى داعية. وان كان هذا لاينفى أن الاعلام مهمة الشعب كله، على أن لايترك الأمر للعفوية الشعبية، بل لامفر من مراقبة جماهير الشعب، ومتابعتها، وتعليمها، والتعلم منها.

فى هذا المجال، كسرنا تقليدا عريقا، طالما أبعدنا عن التعامل مع أئمة المساجد. فتحت الاحتلال الإسرائيلى اقتربنا، بحذر، من هؤلاء الأئمة؛ وجاءت النتيجة مدهشة، إذ تحول كل إمام وضع يده فى أيدينا إلى داعية ومحرض من طراز فريد، يصل بتأثيره إلى دائرة واسعة من الناس، ويتميز عن غيره من الدعاة والمحرضين فى الجبهة، فى أن جمهوره يتلقى كلامه كأمر مسلم به، وبلا نقاش.

* لا ينفصل النشاط الاعلامى عن الثورة ككل، كما لاينفصل عن غيره من الأساليب الكفاحية الاخرى؛ فضلا عن أنه ليس مجرد موضوع تكتيكى. فالاعلام اسلوب كفاحى، قد يتقدم موقعه أويتأخر، عن غيره من الأساليب الكفاحية. ومن البديهى أنه ليس هدفا، بحد ذاته؛ وإن تميز عن غيره من الأساليب الكفاحية بضرورته الدائمة.

التعليمات والتعميمات الاعلامية الصادرة عن القيادة ليست "منزلة"، بل يمكن أن يأتيها الخطأ،إن في التقدير، أو في الاطلاق والتعميم. ومن هنا ضرورة استمرار العلاقة الحيوية، القائمة على الأخذ والعطاء، بين مجموع الدعاة والمحرضين من جهة، وبين القيادة من جهة اخرى. ولاتقتصر هذه العلاقة على مجرد تلقى الدعاة والمحرضين التعليمات والتعميمات من أعلى، بل لابد من أن يمد هؤلاء الدعاة والمحرضين قياداتهم بالاقتراحات، وبكل ما يلمسوه من تغيرات فى اتجاهات الرأى العام، مهما تواضع شأنها. كما يمدونها بكل حدث ومؤشر وبرد فعل الشعب على ما يقوم به هؤلاء الدعاة والمحرضون من نشاطات، بما يجعل القيادة تضع خططها، وتصيغ شعاراتها، مسترشدة بنبض الشارع.

فى هذا الصدد، تحضرنى قصة طرح الجبهة شعار "لاتعليم في ظل الاحتلال"، ثم تراجع الجبهة عن هذا الشعار، بعد بضعة أيام، واحلال شعار "ضد تهويد التعليم" محله. وتبدأ القصة حين أخطأت قيادة الجبهة التقدير، فيما يخص الفترة التى سيمكثها الاحتلال الإسرائيلى فى قطاع غزة. وربما كان الأمل، وحده، ما جعل هذه القيادة تقدر مدته بما يقترب من تلك التى سبق له أن مكثها خلال العدوان الثلاثي (١٩٥٦)، وهى أربعة أشهر وخمسة أيام. وأدارت قيادة الجبهة هنا ظهرها للمستجدات فى الاحتلال الجديد، فتغافلت عن ان العدوان الإسرائيلى استمد غطاءه، سنة ١٩٥٦، من القوات الفرنسية والبريطانية؛ مماجعل اسرائيل تعجز عن البقاء في الأراضى التى احتلتها من سيناء وقطاع غزة، بعد

انسحاب القوات الفرنسية والبريطانية من المناطق التى احتلهتا من سيناء وقطاع غزة، بعد انسحاب القوات الفرنسية والبريطانية التى احتلتها فى منطقة قناة السويس. كما أن عدوان ١٩٦٧ جاء بمباركة الادارة الأمريكية، وجاء بعد ان ضمنت له إسرائيل البقاء مدة أطول، بأن عززت تحييد الضغوط الخارجية، بشكل يفوق كثيرا عدوان ١٩٥٦.

هنا حل "تحليل الأماني" محل التحليل العلمي، ما جعل قيادة الجبهة تعتمد اسلوبا يظهر للرأى العام العالمى مدى اتساع مقاطعة شعبنا للمحتل الإسرائيلى فى شتى المجالات، بما فى ذلك التعليم. فبادرت هذه القيادة إلى صياغة شعار "لاتعليم فى ظل الاحتلال". وتحركت منظمات الجبهة لمنع الطلبة والمدرسين من الذهاب إلى المدارس. لكن ما أن مر شهران، حتى بادرت قيادة الجبهة فأزاحت هذا الشعار، وأحلت محله "ضد تهويد التعليم". ذلك أن تقارير الدعاة والمحرضين جاءت لتؤكد بأن الاستجابة للشعار الأول جاءت جزئية، وعلى مضض، وأن قطاعات واسعة من المدرسين وأولياء امور الطلبة ترى بأن الاحتلال يريد نشر الجهل والامية. وان ما يستحق المقاومة تلك المحاولات التى يبذلها الاحتلال من أجل الغاء منهج التعليم المصرى، واحلال منهج صهيونى مكانه، خاصة فى مجال التاريخ الوطنى.

في القتال

ثمة سؤال مشروع يتواتر : "ترى، أين الكفاح المسلح في نشاط هذه الجبهة"؟.

* إن أمر الانتقال من اسلوب كفاحي إلى اسلوب آخر لم يكن بالسهولة التي نكتب بها هذا الانتقال، اليوم، في سطر أو سطرين. ذلك أن انتقال أي مؤسسة تنظيمية من اسلوب كفاحي إلى آخر، معضلة حقيقية، لايعرفها إلا من كابدها. فثمة اعضاء ينسحبون، "ويتساقطون"، فيما يحتج آخرون، لأنهم استمرأوا الاكتفاء بالاسلوب الاعلامي في الكفاح؛ حتى أنهم تصوروا بأنه الاسلوب الأكثر فعالية، دائما، في مواجهة الاحتلال. فيما خشي أعضاء آخرون في الجبهة من رد فعل الاحتلال، الذي لاشك سيكون أشد شراسة من مثيله على النشاط الاعلامي. حتى أننا سمعنا ذرائع سيقت في سبيل استبعاد اسلوب الكفاح المسلح، مثل: انبساط سطح قطاع غزة؛ حيث لاجبال أو غابات. وفي مواجهة هذا المنطق صاغت قيادة الجبهة شعار : "اذا كانت الأرض تكشفنا، فأن الليل يسترنا"؛ كما أشارت القيادة نفسها بأن الأبنية غابات خرسانية، تعوق تحرك آليات المحتل الاسرائيلي؛ فيما تسهل للفدائي الافلات، بمجرد انجاز مهمته القتالية، لكن المعترضين لم ييأسوا، بل واصلوا جهودهم من أجل استبعاد الكفاح المسلح من أجندة الجبهة. فاقترحوا تشكيل وحدات مسلحة من خارج التنظيم السياسي للجبهة؛ من عسكريين محترفين، مكثوا في القطاع، بعد خروج قوات جيش التحرير الفلسطيني من

القطاع، مع الهزيمة. وجاء الرد سريعا من قيادة الجبهة، بأن مناضل الجبهة سيكون نفسه الذى يوزع المنشور، وايضا من يلقى القنبلة. حيث لامجال، فى تنظيم صغير، إلى إقامة تنظيمين متوازيين، توكل إلى كل منهما مهام مختلفة عن مثيله. كما أن مثل هذا الأمر سيحدث فصاما تنظيميا بين ماهو سياسى، وما هو عسكرى فى الجبهة؛ مما يفتح الباب لتعارضات ومزاحمات لا يتحملها جسم التنظيم، فى مثل هذا الحال. كما أن الانتماء الفكرى والسياسى ضرورى للعمل العسكرى، ايضا. فالكفاح المسلح ليس عملية تقنية بحتة، ينحصر تنفيذها فى عسكريين يجيدون الرماية، ونصب الكمائن وزرع الألغام، وما اليه، بينما يقطعون صلتهم بالسياسة. وفى مواجهة هذا المنطق، صاغت قيادة الجبهة شعار : "مقاتلون فى الليل، دعاة فى النهار". لكن الصراع لم يهدأ، خاصة مع شيوع مفاهيم خاطئة عن "حرب الشعب طويلة الأمد"، مثل إقدام منظمات المقاومة الفلسطينية على اقامة معسكرات للفدائيين فى شرقى الأردن، خارج مناطق الاحتلال؛ ومثل اهدار الفكر، الذى تجلى - أكثر ما تجلى - فى مقولة : "النظرية تنبع من فوهة البندقية"، وغيرها من المقولات التى استنطقت البندقية، وقدستها، وكأنها الهدف، فى حد ذاتها، الأمر الذى عكس ازدراء العمل السياسى، وأظهر العمل الفدائى وكأنه البديل للعمل السياسى، اذا وجد أحدهما غاب الآخر.

* تعاملت قيادة الحزب، بشكل سليم، مع شعار الكفاح المسلح، فلم تتهور، ولم تتقاعس، بل خاضت نضالا تحضيريا، من أجل

توفير شروط استمرار هذا الشكل الكفاحي، مع اتاحة أعلى درجات الأمان له. الا أنها، فى التطبيق، أفرزت أحد أعضائها لقيادة العمل العسكرى، فيما كان يجب تخصيص مكتب حزبى مركزى، شأن بقية الأنشطة (التنظيم؛ الدعوة؛ المالى - الفنى). مما أوقع العمل العسكرى فى جملة من الأخطاء، والارباكات، على نحو حال دون أن توازى الانجازات العسكرية ما حققته الجبهة فى المجالات السياسية، والتنظيمية، والدعاوية.

وبعد،

فأنه لاغنى لأى مناضل عن أى من الحياة والنظرية. فمن الحياة نستخلص قوانين النظرية، وإلى الحياة نعود، لنطبق النظرية، ونغنيها، ومن أجل الحياة نواصل النضال.

تجربة في المقاومة الفلسطينية